

الفصل الثالث :

أنواع التناس

obeikandi.com

## للتناص أنواع منها :

### ١- النقااض:

جمع نقيضة ، وهي القصائد التي تجمع في أبياتها بين الفخر والهجاء ، وقد حملت لنا كتب التراث ومصادره كثيرا من النقااض للفرزدق وجريرومن هذه النقااض :

### يقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
بَيْتًا ، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ ، وَمَا بَنَى  
حَكَمُ السَّمَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ  
بَيْتًا زُرَّارَةٌ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ،  
وَمُجَاشِئٌ وَأَبُو الْقَوَارِسِ نَهَشَلُ  
يَلْحُونَ بَيْتَ مُجَاشِئٍ ، وَإِذَا احْتَبَوْا  
بَزُّوا كَمَا بَنَاهُمُ الْجِبَالُ الْمَثَلُ  
لَا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مَثَلُهُمْ  
أَبْدَاءُ ، إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ  
ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بَنَسَجِهَا ،  
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْرَلُ

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارمًا،  
أَمْ مَنْ إِلَى سَلَفِي طَهِيَّةٌ تَجْعَلُ  
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ  
جُرْبُ الْجِمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ الْمُشْعَلُ  
وَالْمَانِعُونَ، إِذَا التَّسَاءُ تَرَادَفَتْ،  
حَذَرَ السُّبْيَاءِ جِمَالَهَا لَا تُرْحَلُ  
يَحْمِي، إِذَا اخْتَرَطَ السَّيُوفُ، نِسَاءَنَا  
ضَرْبٌ تَخِرُّ لَهُ السَّوَاعِدُ أُرْعَلُ

\*\*\*\*\*

وَإِذَا بَدَخْتُ وَرَأَيْتِي يَمْشِي بِهَا  
سُفْيَانٌ أَوْ عُذْسُ الْفَعَالِ وَجَنْدَلُ  
الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدَّ حَصَاهُمْ،  
وَالْأَكْرَمُونَ إِذَا يُعَدُّ الْأَوَّلُ  
وَزَحَلَتْ عَنِ عَتَبِ الطَّرِيقِ، وَلَمْ تَجِدْ  
قَدَمَاكَ حَيْثُ تَقُومُ، سُدَّ الْمَنْقَلُ  
إِنَّ الرَّحَامَ لَغَيْرِكُمْ، فَتَحَيَّنُوا  
وَرَدَّ الْعَثْيِيَّ، إِلَيْهِ يَخْلُو الْمَنْهَلُ

حَلُّ الْمُلُوكِ لِنَاسِنَا فِي أَهْلِنَا،  
 وَالسَّابِغَاتِ إِلَى السَّوْعَى نَتَسَرَّبُ  
 أَحْلَامُنَا تَسْرِنُ الْجِيَالَ رَزَائِنُ،  
 وَتَخَالَتَا جِنًّا، إِذَا مَا نَجْهَلُ  
 فَادْفَعْ بِكَفِّكَ، إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءِنَا،  
 تَهْلَانُ ذَا الْمَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ  
 وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرُ، وَإِنِّي  
 فِي آلِ ضَبَّةَ، لِلْمَعْمُ الْمُخَوَّلُ  
 فَرَعَانِ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا،  
 وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ

**ويقول :**

فَلَيْنَ فَخَرْتُ بِهِمْ لِمَثَلِ قَدِيمِهِمْ  
 أَغْلُوا الْحُزُونَ بِهِ وَلَا أَتَسَهَّلُ  
 زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ،  
 وَأَبُو قَبِيصَةَ وَالرَّئِيسُ الْأَوَّلُ  
 أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ،  
 عِنْدَ الشَّهَادَةِ وَالصَّحِيفَةِ، دَغَفَلُ

إِنَّ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا،  
 وَأَنْتُمْ فِي حَسَبِ الْكَهْرَامِ وَأَفْضَلُ  
 مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كَلَيْبِ رَهْطُهُ،  
 أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَخَوَّلُ  
 وَهُمْ الَّذِينَ عَلَوْا عَمَارَةَ ضَرْبَةَ  
 قَوْمَاءَ، فَوْقَ شُورِنِهِ لَا تُوصَلُ  
 وَهُمْ، إِذَا اقْتَسَمَ الْأَكَابِرُ، رَدَّهُمْ  
 وَافٍ لَضَبَّةَ، وَالرَّكَابُ تُثَلَّلُ  
 جَارُ، إِذَا غَدَرَ اللَّعَامُ، وَفَى بِهِ  
 حَسَبُ، وَدَعْوَةُ مَاجِدٍ لَا يُحْدَلُ  
 وَعَشِيَّةَ الْجَمَلِ الْمُحَلَّلِ ضَارِبُوا  
 ضَرْبًا شُورُونُ فَرَاشِهِ تَتَرَّيْلُ

\*\*\*\*\*

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ أَيَّنَ خَالَكَ؟  
 إِنِّي خَالِي حُبَيْشٌ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ  
 خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ نُفُوسَهُمْ،  
 وَإِلَيْهِ كَانَ جِبَاءُ حَفْنَةَ يُنْقَلُ

إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ،  
 وَأَبُوكَ خَلْفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ  
 وَشُغِلَتْ عَنْ حَسْبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا؛  
 إِنَّ اللَّئِيمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُشْغَلُ  
 إِنَّ السَّيِّئَةَ فَقِئَتْ بِهَا أَبْصَارُكُمْ،  
 وَهِيَ السَّيِّئَةُ دَمَعَتْ أَبَاكَ، الْفَيْصَلُ  
 وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي التَّوَابِعُ، إِذْ مَضَوْا،  
 وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُؤُلُ  
 وَالْفَحْلُ عَلَقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ  
 حُلُّ الْمَلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ  
 وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ، وَهُنَّ قَتْلُهُ،  
 وَمُهْلُهُ لُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ  
 وَالْأَعَشِيَّانِ، كِلَاهُمَا، وَمُرْقَشٌ،  
 وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ  
 وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عَيْدٌ، إِذْ مَضَى،  
 وَأَبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ  
 وَأَبْنَا أَبِي سُلَيْمَى زُهَيْرٌ وَأَبْنُهُ،  
 وَأَبْنُ الْفَرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ الْقَوْلُ

وَالْجَعْفَرِيُّ، وَكَانَ بِشَرِّ قَبْلَهُ،

لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُحْمَلُ

وَلَقَدْ وَرِثْتُ لَالَ أَوْسٍ مِنْطِقًا،

كَالسَّمِّ خَالَطَ جَانِبِيهِ الْخَنْظَلُ

وَالْحَارِثِيُّ، أَخُو الْحِمَّاسِ، وَرِثْتُهُ

صَدْعًا، كَمَا صَدَعَ الصَّفَاةَ الْمِغْوَلُ

دَفَعُوا إِلَيَّ كِتَابَهُنَّ وَصِيَّةً،

فَوَرِثْتُهُنَّ كَمَا تَهُنَّ الْجَنَّةُ نَدْلُ

ويقول :

إِنِ اسْتَرَأَقَكَ يَا جَرِيرُ قَصَائِدِي،

مِثْلُ ادِّعَاءِ سِرْوَى أَبِيكَ تَنْقَلُ

وَابْنُ الْمَرَاغَةِ يَدَّعِي مِنْ دَارِمٍ،

وَالْعَبْدُ غَيْرَ أَبِيهِ قَدْ يَتَنَحَّلُ

لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمْ،

حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِمَا بَنَى،

فَاصْبِرْ فَمَا لَكَ، عَنِ أَبِيكَ، مُحْوَلُ

وَلَيْنَ رَغِبْتَ سِوَى أَيْكَ لَتَرْجِعَن  
عَبْدًا إِلَيْهِ، كَأَنَّ أُنْفُكَ دُمْلُ  
أَزْرَى يَجْرِيكَ أَنَّ أَمَّكَ لَمْ تَكُنْ  
إِلَّا اللَّئِيمَ مِنَ الْفُحُولَةِ تُفْحَلُ  
قَبِحَ الْإِلَهَ مَقَرَّةً فِي بَطْنِهَا،  
مِنْهَا خَرَجْتَ وَكُنْتَ فِيهَا تُحْمَلُ  
وَإِذَا بَكَيتَ عَلَى أَمَامَةٍ، فَاسْتَمِعْ  
قَوْلًا يُعْمَمُ، وَتَّارَةً يُتَخَلَّلُ

ويقول :

أَسَأَلْتَنِي عَنْ حُبِّوِي مَا بَالُهَا،  
فَأَسَأَلَ إِلَى خَبْرِي وَعَمَّا تَسْأَلُ  
فَاللُّومُ يَمْتَعُ مِنْكُمْ أَنْ تَحْتَبُّوْا؛  
وَالْعِزُّ يَمْتَعُ حُبِّوِي لَا تُخَلَّلُ  
وَاللَّهُ أَثْبَتَهَا، وَعِزُّ لَمْ يَزَلْ  
مُقَعَّنَسِيًّا، وَأَيْكَ، مَا يَتَّحَوَّلُ  
جَبَلِي أَعَزُّ، إِذَا الْحُرُوبُ تَكَشَّفَتْ،  
مِمَّا بَنَى لَكَ وَالِدَاكَ وَأَفْضَلُ

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي غَدَاةَ مَا رَأَوْا،

حَيْثُ الْأَتَانُ إِلَى عُمُودِكَ تُرْحَلُ

كَسَّرْتَ تُنَيْتَكَ الْأَتَانُ، فَشَاهِدُ

مِنْهَا بِفِيكَ مُبَيِّنٌ مُسْتَقْبَلُ

ويقول جرير متناصبا مع نقيضة الفرزدق :

أَعَدَدْتَ لِلشَّعْرَاءِ سَمَاءً نَاقِعاً

فَسَقَيْتَ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ

لَمَّا وَضَعْتَ عَلَيَّ الْفِرْزَدِقَ مَيْسَمِي

وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتَ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِجَاشِعَا

وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ

وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَحْسَنَ بَيْتٍ يَتَنِي

فَهَدَمْتَ بَيْتَكُمْ بِمَثَلِي يَذْبَلِ

إِنِّي بِنَى لِي فِي الْمَكَارِمِ أَوْلِي

وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ

حَتَّى اخْتَطَفْتِكَ يَا فِرْزَدِقَ مِنْ عَلِّ

أحلامنا تزن الجبال رزانة

ويفوق جاهلنا فعال الجهل

فارجع إلى حكمي قريش إنهم

أهل النبوة والكتاب المنزل

كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله

مثل الذليل يعوذ تحت القرمل

إن الذي سمك السماء بني لنا

عزاءك فماله من منقل

أبلغ بني وقبان أن حلومهم

خفت فلا يزنون حبة حردل

إلهي أباك عن المكارم والعلل

لي الكنائف وارتفعا المرحل

واضح من النصين اشتغال كل منهما على الفخر والهجاء :

فهذا الفرزدق يبدأ قصيدته مشيدا بأجداده وأنهم قد شيدوا بيتا

قوي الدعائم يستمد قوته من الخالق الأعظم الذي خلق السماء ثم يذكر

مفتخرا أسماء أجداده ، ويسمي منهم : زارة ، ومجاشع ، ونهشل ،

ويعير جريرا أن ليس له مثل هؤلاء الأجداد العظماء ، وأن بيته واه قد

نسجت عليه العنكبوت خيوطها لضعفه وهزاله ، ويبين أنه يدعى غير

أبيه ، لذلك لم يجد بأسا في سرقة شعر الفرزدق وادعائه نسبتها إليه ،  
كما لم ينس الافتخار ببني قبيلته المحاريين وما يتصفون به من شجاعة  
وبأس عند قتال العدو .

أما جرير فإنه يبدأ قصيدته بنقض ماقال الفرزدق ، وأن عليه  
أن يخزي لأن البيت الذي شيده أجداده في منزلة متدنية ، بل هوفي  
الحضيض الأسفل ، وأن جريرا انصب عليهم من السماء كصاعقة ،  
فاختطف الفرزدق من بينهم ، ثم يشيد بعقول قومه ، وأنها ثابتة  
راسخة رسوخ الجبال ، وأن حلوم قوم الفرزدق خفيفة لا تساوي حبة  
خردل .

ويتضح التناص عند الشعاعين فيما يلي ،

- الفكرة في النصين واحدة تقوم على الفخر الممزوج بالهجاء .
- اختلاط الفخر بالهجاء ، حتى لا تكاد تفصل أحدهما عن الآخر
- ويبدو التناص واضحا ملموسا في أخذ عبارات ، وأبياتا بعينها

مثل :قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

يَيْتًا ، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

يَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ ، وَمَا بَنَى

حَكَمُ السَّمَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يُثْقَلُ

ويقول جرير:

أخزى الذي سمك السماء بمشعا

وبنى بناءك في الحضيض الأسفل

ولقد بنيت أحسن بيت بيتي

فهدمت بيتكم بمثلي يذبل

ويقول الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزائفة،

وتخالنا جنأ، إذا ما نجهل

فادفع بكفك، إن أردت بناءنا،

تهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

ويقول جرير:

أحلامنا تزن الجبال رزانة

ويفوق جاهلنا فعال الجهل

فارجع إلى حكمي قريش إنهم

أهل النبوة والكتاب المنزل

ويقول الفرزدق :

خالي الذي غصب الملوكة نفوسهم،

وإليه كان جباء جفنة ينقل

إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ،

وَأَبُوكَ خَلْفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ

وَشَغِلْتَ عَنِ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا؛

إِنَّ اللَّئِيمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُشْغَلُ

ويقول جرير :

كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله

مثل الذليل يعوذ تحت القرمل

إن الذي سمك السماء بنى لنا

عزاعلاك فما له من منقل

• وقد صاغ الشاعران أبيات قصيدتيهما على نغمات وإيقاع بحر

الكامل بما يتمتع به من رحابة واتساع، مبعثه كثرة التفعيلات،

كما بدا التناسل ملموسا في اختيار حرف الروي اللام المكسورة

والمضمومة ، ولو تتبعنا محتوى كل قصيدة على حدة لتبين لنا

مقدار ما أخذ الشاعر من أفكار ومعاني الشاعر الآخر.

٢- المعارضات :

وهذا لون آخر من ألوان التناسل ، شاع وانتشر في جنبات تراثنا

الشعري .

والمعارضة : تعني أن يتناول الشاعر موضوعا تناوله شاعر قديم أو معاصر له في نفس الموضوع ويصوغ أفكاره على أوزان البحر الشعري نفسه .

ولا بد لنا أن نتوقف عند هذا الفن لنرى ما بين الشعارين من تماثل وبواعث القول عند كل منهما وما في النصين من أخذ وتناسل مباشر، لأن الشاعر في هذا اللون من الشعر يعلن صراحة أنه يحاكي شاعرا بعينه ، ويضع يدك في جلاء وظهور على مواضع تأثره بالآخر ، ويزيد على ذلك بإيراد عبارات وصور ، وربما أبيات أخذها ممن يعارض، وليس في ذلك عيب ، لأن المعارضة تقليد ومحاكاة .

ومن اشهر المعارضات :

- سينية شوقي التي عارض فيها البحتري:

يقول البحتري :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبسي

ويقول شوقي في معارضته :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

- ومنها نونية شوقي التي عارض فيها نونية بن زيدون :

يقول ابن زيدون :

أضحى التناهي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويقول شوقي في معارضته :

يانائح الطلح أشباه عوادينا    نشحى لواديك أم نأسى لوادينا  
ونستطيع أن نتوقف مع المعارضة وقفة نقأمل فيها تقدياتها  
الفنية وما فيها من تناص.

تأمل معي واحدة من المعارضات المعروفة في تراثنا الشعري ،  
وهي قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي التي عارض فيها برده البوصيري.  
يقول البوصيري في قصيدة ( البردة النبوية ) مادحا النبي صلى  
الله عليه وسلم ، ومشيدا بأخلاقه وسماته ، وتكريم الله له ، وما نال من  
شرف المنزلة بين الأنبياء والمرسلين :

يقول :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانِ بِنْدِي سَلِمَ  
مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِسَدْمٍ؟  
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ  
وَأَوْمَضَ البرقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ؟  
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمًّا  
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهُمَّ؟  
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنْ الحُبُّ مُنْكَمِ  
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ؟

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَيَّ طَلَلٍ

وَلَا أُرْقَت لَذَكَرَ الْبَيَانَ وَالْعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيَّكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ؟

وَأَبْتِ الْوَجْدَ خَطِي عِبْرَةً وَضِي

مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ

نَعْمَ سَرَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى فَأُرْقِنِي

وَالْحُبَّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

ويقول :

يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مَعْدَرَةً

مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلِمِ

مَحْضَتِّي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ النَّجِبَ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمِ

ويقول في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْكَوْتَيْنِ وَالْثَقَلَيْنِ

وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ

نَبِينَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ

أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ

هُوَ الْحَيِّبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ هَوَالٍ مِّنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَجِمٍ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ

فَإِنَّ النَّبِيِّنَ فِي خَلْقِي وَفِي خَلْقِي

وَلَمْ يُدْأِئُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

وَكُلُّهُمْ مِّن رَّسُولِ اللَّهِ مَلْتَمِسٍ

غَرَفًا مِّنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِّنَ الدِّمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ

مِن ثُقُطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحَلْمِ

=====

ويقول شوقي في نهج البردة معارضا البوصيري ( ٩ ) :

أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

ريم على القاع بين البان والعلم

يا ساكن القاع، أدرك ساكن الأجم

رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا

يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

لما رنا حدثني النفس قائلة

جرح الأحبة عندي غير ذي ألم

جحدتها و كتمت السهم في كبدي

إذا رزقت التماس العذر في الشيم

رزقت أسمح ما في الناس من خلق

لوشفك الوجد لم تعذل ولم تلم

يا لائمي في هواه، والهوى قدر

لقد أنلتك أذنا غير واعية ورب منتصت والقلب في صمم  
يا ناعس الطرف، لا ذقت الهوى أبدا أسهرت مضناك في حفظ الهوى فتم  
ويقول في القصيدة نفسها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطِبَةً

حديثك الشهد عند الذائق الفهم

سَرَتْ بِشَائِرٍ يَاهَادِي وَمَوْلِدِهِ

في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

أثِيَتْ وَالنَّاسُ قَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ

إِلَّا عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمٍ

وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَخَّرَةٌ

لِكُلِّ طَائِفَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمٍ

وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْسَاؤَهُمْ بِأَضْعَافِهِمْ

كَاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ

وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ

لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّقْوَا بِسَيِّدِهِمْ

كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ

صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ

وَمَنْ يَفُزْ بِحَيِّبِ اللَّهِ يَأْتِمِ

جُبَّتِ السَّمَاوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ  
 عَلَى مُنْوَرَةٍ دُرِّيَّةٍ اللَّحْمِ  
 مَشِيَّةٌ الْخَالِقِ الْبَارِي وَصَنَعَتْهُ  
 وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالْتِهَامِ  
 حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا  
 عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمٍ  
 وَقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّيهِ  
 وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ  
 خَطَّطَتْ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا عُلُومَهُمَا  
 يَا قَارِيءَ اللُّوحِ بَلْ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ  
 يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي  
 وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي؟

في هذا المعارضة تجد التناص ملموسا في نواحي كثيرة منها .

١- القصيدتان تسيران على منهج واحد ، فقد بدأ كل شاعر قصيدته  
 متغزلا ، ثم ثنى بمديح النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وبين  
 مواطن القدوة فيه ، وما يميزه من طيب خلق ، وعظمة رسالة ،  
 وكذلك بيان مكانته المرموقة بين الأنبياء صلوات الله وتسليماته  
 عليهم جميعا ، فالتناص ماثل في ذكر الأفكار نفسها عند شوقي .

٢- ومع تقليد شوقي ومحاكاته أفكار البوصيري نفسها ، إلا أنه يكسوها ألفاظا من عنده ، وهنا تبدو خصوصيته ومقدرته على الانتقاء والاختيار ، وهذا لا يقلل من جمال ما أتى به البوصيري من ألفاظ .

٣- البحر الشعري واحد في كلتا القصيدتين ، فقد نظم كل من الشاعرين قصيدته على تفعيلات بحر البسيط ، وهو بحر معروف بكثرة تفعيلاته ، ولا يستطيع السباحة فيه إلا كل ماهر صيرفي أوتي الدراية الكافية بالأوزان والتفعيلات وما تحوي لغة الضاد من دقائق وأسرار .

٤- وقد برز التناسل واضحاً في إيراد شوقي أبيات بعينها، وإن اختلفت في بعض الألفاظ، في مواضع كثيرة من القصيدة ، لا بأس أن نورد بعضها :

**يقول البوصيري :**

يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُنْزِيِّ مَعْدِرَةٌ

مَنْنِي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلْمِ

**ويقول شوقي :**

يَا لَأَيْمِي فِي هَوَاهُ، وَالْهَوَى قَدْرٌ لَوْ شَفَكَ الْوَجْدَ لَمْ تَعْذَلْ وَلَمْ تَلْمِ

ويقول البوصيري :

مَحَضَّتِي النُّصْحَ لَكِن لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِن الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمِّ

ويقول شوقي :

لقد أنتلك أذنا غير واعية ورب منتصت والقلب في صمم

ويقول البوصيري :

فَأَقَ التَّيِّبِينَ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمِي وَلَا كَرَمِي

ويقول شوقي :

صَلَى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ

وَمَنْ يُفْزِرُ بِحَيْبِ اللَّهِ يَأْتِمِرُ

والمعارضة هنا تحمل قيمة فنية عالية بما فيها من عمق أفكار ، ووضوح معنى ، وبما تضم من صور جمالية وأساليب إنشائية وخبرية ، يمكن أن نتبينها ونقف على أسرار بلاغتها لوقمنا بتحليل النص بلاغيا ، ولكن المجال هنا ليس مجال تحليل نصي ، ولم تقلل معارضة شوقي ومحاكاته البوصيري من قيمة النص ، على ما فيه من تناس واتباع وتقليد .

=====

أما سينية البحري ، التي كتبها متأثراً بما أصاب كسرى

ومملكته ، والفرس وماضاع منهم من ملك كبير ، فهذا نصها :

صنّت نفسي عما يدنس نفسي  
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهـ  
بُلُغٌ مِنْ صُبابَةِ العَيشِ عِندي  
وَبَعِيدٌ ما بَيْنَ وارِدِ رِفاهِ  
وَكَأَنَّ الزَّمانَ أَصَبَحَ مَحمو  
وَاشْتِرائِي العِراقَ خُطَّةً غَيبِ  
لأَتُرْزِنِي مُزاوِلاً لِاخْتِيارِي  
وَقَدِيمًا عَهْدَتِي ذَا هَناتِ  
وَلَقَدْ رابِئِي نُبوُ ابنُ عَمِّي  
وَإِذا ما جُفِيتُ كُنْتُ جَدِيراً  
حَضَرَتِ رَحليَ الهُمومُ فَوَجَّهـ  
أَتَسَلَّى عَنِ الحُظوظِ وآسِي  
أذكَرْتَنِيهِمُ الحُطوبُ التَّوالِي  
وَهُمُ خافُونَ فِي ظِلِّ عالِ  
مُغَلَقِ بابِهِ عَلى جَبَلِ القَبـ

وَتَرَفَعْتُ عَن جَدِّ كَلِّ جِيسِ  
رُ التِّماسِ مِنْهُ لِتَعسِي وَتَكسِي  
طَفَفَتِها الأَيامُ تَطْفِيفَ بَحسِ  
عَلَلِ شُرْبُهُ وَوارِدِ جِمسِ  
لأ هَواهُ مَعَ الأَخسِ الأَخسِ  
بَعَدَ يَبعي الشَّامَ بَيعَةَ وَكسِ  
بَعَدَ هَذي البَلوى فَتَنَكِرَ مَسِي  
أَبِياتِ عَلى الذَّنِياتِ شُمسِ  
بَعَدَ لَينِ مِنْ جانِبِيهِ وَأَسِ  
أَن أَرى غَيرَ مُصَبِحِ حَيْثُ أَمسِي  
تُ إلى أَبِيضِ المَدائِنِ عَنسِي  
لِمَحَلِّ مِنْ آلِ ساسانِ دَرسِ  
وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الحُطوبُ وَتُنسِي  
مُشْرِفِ يَحسِرُ العُيونَ وَيُخسِي  
قِي إلى دارَتِي خِلاطاً وَمُكسِ

حَلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى  
ويقول:

وَمَسَاعٍ لَوْ لَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي  
نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْـ  
فَكَأَنَّ الْجِرْمَانَ مِنْ عَدَمِ الْأَنْـ  
لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي  
وَهُوَ يُبْنِيكَ عَنِ عَجَائِبِ قَوْمٍ  
وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا  
وَالْمَنَابِيَا مَوَائِلُ وَأَنْوَشِيرُ  
فِي احْضِرَارٍ مِنَ اللَّيَالِي عَلَى أَصـ  
وَعِرَاكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ  
مِنْ مُشِيحٍ يَهْوَى بِعَامِلِ رُوحٍ  
تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا  
يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى  
قَدْ سَقَانِي وَلَمْ يُصَرِّدْ أَبُو الْعَو  
مِنْ مُدَامٍ تَطْنُهَا وَهِيَ نَجْمٌ  
وَتَرَاهَا إِذَا أَحَدَّتْ سُرُورًا  
أَفْرَعَتْ فِي الرُّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ

فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ مُلَسِّ

لَمْ تُطْفِئِهَا مَسْعَاةُ عَنَسٍ وَعَبَسٍ  
جِدَّةٍ حَتَّى رَجَعْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ  
سِ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّةُ رَمْسِ  
جَعَلَتْ فِيهِ مَاتَمًا بَعْدَ عُرْسِ  
لَا يُشَابُ الْبِيَانُ فِيهِمْ بَلْبَسِ  
كَيْفَةَ ارْتَعَتَ بَيْنَ رُومٍ وَقُرْسِ  
وَأَنْ يُزْجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرْفَسِ  
فَرَّ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وِرْسِ  
فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرْسِ  
وَمُلْبِجٍ مِنَ السِّنَانِ بِرُسِ  
لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشْتَارَةٌ خُرْسِ  
تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِلَمْسِ  
ثِ عَلَى الْعَسْكَرِينَ شَرِبَةَ خُلْسِ  
ضَوْأَ اللَّيْلِ أَوْ مُحَاجَةَ شَمْسِ  
وَأَرْتِيَا حَالًا لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّي  
فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسِ

زَ مُعَاطِيٍّ وَالبَلَهَبِذَ أَنَسِي  
 أَم أَمَانٍ غَيْرِنَ ظَنِّي وَحَدَسِي  
 عَةَ جَوْبٍ فِي جَنْبِ أَرَعَنَ جِلْسِي  
 لِدَوِّ لِعَيْنِي مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي  
 عَزَّ أَوْ مُرَهَقًا بِتَطْلِيْقِ عِرْسِي  
 مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكْبٌ نَحْسِي  
 كَلَكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الذَّهْرِ مُرْسِي  
 سَبَاجٍ وَاسْتَلَّ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقْسِي  
 رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِي  
 صَبْرٌ مِنْهَا إِلَّا غَلَايِلَ بُرْسِي  
 سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنِّ لِإِنْسِي  
 يَكُ بَانِيهِ فِي المُلُوكِ بِنُكْسِي  
 مَ إِذَا مَا بَلَغْتَ أَخْرَجَ حِسِّي  
 مِنْ وَقُوفٍ خَلْفَ الزِّحَامِ وَخَنْسِي  
 رِ يُرَجِّعُنَ بَيْنَ حُوِّ وَلُعْسِي  
 سِ وَوَشَكَّ الفِرَاقِ أَوَّلَ أَمْسِي  
 طَامِعٌ فِي لِحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِي  
 لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ وَالتَّأَسِّي

وَتَوَهَّمْتُ أَنْ كِسْرَى أَبْرُوي  
 حُلْمٌ مُطَبِّقٌ عَلَى الشَّكِّ عَيْنِي  
 وَكَأَنَّ الإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْـ  
 يُتَظَنِّي مِنَ الكِتَابَةِ إِذْ يَبـ  
 مُزَعَجًا بِالفِرَاقِ عَنِ أَنَسِ إِلفِ  
 عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَبَاتَ الـ  
 فَهُوَ يُيَدِي تَجَلَّدًا وَعَلَيْهِ  
 لَمْ يِعْبَهُ أَنْ يُزَّ مِنْ بُسُطِ الدِّيـ  
 مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرْفَاتٌ  
 لِابِسَاتٌ مِنَ البِيَاضِ فَمَا تُبـ  
 لَيْسَ يُدْرِي أَصْتَنَعَ إِنْسِي لِجِنِّ  
 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ  
 فَكَأَنِّي أَرَى المَرَاتِبَ وَالْقَوِ  
 وَكَأَنَّ الوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى  
 وَكَأَنَّ القِيَانَ وَسَطَ المَقَاصِيـ  
 وَكَأَنَّ اللِّقَاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمـ  
 وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ إِتْبَاعًا  
 عَمِيرَتِ لِلسُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ

فَلَهَا أَنْ أَعْيَتْهَا بِدُمُوعِ      مَوْقِفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ  
 ذَاكَ عِنْدِي وَكَيْسَتِ الدَّارُ دَارِي      بِإِقْتِرَابٍ مِنْهَا وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي  
 غَيْرَ نُعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي      غَرَسُوا مِنْ زَكَائِهَا خَيْرَ غَرَسِ  
 أَيْدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قُؤَاهُ      بِكُمَاةٍ تَحْتَ السَّنَّورِ حُمْسِ  
 وَأَعَانُوا عَلَى كِتَابِ أَرِيَا      طَاطَعِينَ عَلَى النُّحُورِ وَدَعَسِ  
 وَأَرَانِي مِنْ بَعْدِ أَكْلَفُ بِالْأَشْ      رَافٍ طُرًّا مِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَأَسِ

وهذه سينية شوقي ، التي قالها وهو في منفاه بالأندلس بعيدا عن  
 مصر متفجعا مما أصابه من بين واغتراب ، ومتذكرا مصر ونيلاها  
 وتاريخها وحضارتها ، يقول فيها :

اختلاف النهار والليل ينسي  
 اذكرا لي الصبا وأيام أنسي  
 وصفا لي ملاوة من شباب  
 صورت من تصورات ومس  
 عصفت كالصبا للعب ومرت  
 سنة حلوة ولذة خلس  
 وسلا مصر: هل سلا القلب عنها  
 أو أسا جرحه الزمان المؤسي

كلما مرت الليالي عليه  
رق، والعهد في الليالي تقسي  
مستطار إذا البواخر رنت  
أول الليل، أو عوت بعد جرس  
راهب في الضلوع للسفن فطن  
كلما ثرن شاعهن بنقس  
يا ابنة اليم، ما أبوك بخيل  
ماله مولعاً بمنع وحبس  
أحرام على بلابله الدوح  
حلال للطير من كل جنس؟  
كل دار أحق بالأهل إلا  
في خبيث من المذاهب رجس  
نفسى مرجل، وقلبي شرع  
بهما في الدموع سيري وأرسي  
واجعلي وجهك (الفنار) ومجراك  
يد(الثغر) بين (رمل) و(مكس)  
وطني لو شغلت بالخلد عنه  
نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهفا بالفؤاد في سلسيل  
ظماً للسواد من (عين شمس)  
شهد الله لم يغب عن جفوني  
شخصه ساعة ولم يخل حسني  
يا فؤادي لكل أمر قرار  
فيه يبدو وينجلي بعد لبس  
علقت لجة الأمور عقولاً  
طالت الحوت طول سبج وغس  
غرقت حيث لا يصاح بطاف  
أوغريق، ولا يصاخ لحس  
فلك يكسف الشمس هاراً  
ويسوم البدر ليلة وكس  
ومواقيت للأمر إذا ما  
بلغتها الأمور صارت لعكس  
دول كالرجال مرهنتات  
بقيام من الجدود وتعس  
وليل من كل ذات سوار  
لظمت كل رب (روم) و(فرس)

سددت بالهلال قوساً وسلت  
خنجرًا ينفذان من كل ترس  
حكمت في القرون (خوفو) و(دارا)  
وعفت (وائلاً) وألوت (بعبس)  
أين(مروان) في المشارق عرش  
أموي وفي المغارب كرسى؟  
سقت شمسهم فرد عليها  
نورها كل ثاقب الرأي نطس  
ثم غابت وكل شمس سوى هاتيك  
تبلى ، وتنطوي تحت رمس  
وعظ (البحثري) إيوان (كسرى)  
شفتني القصور من (عبد شمس)  
رب ليل سریت والبرق طرقي  
وبساط طويت والريح عنسي  
أنظم الشرق في (الجزيرة) بالغرب  
وأطوى البلاد حزنًا لدهس  
في ديار من الخلائف درس  
ومنار من الطوائف طمس

وربى كالجنان في كنف الزيتون

خضر، وفي ذرا الكرم طللس

لم يرعني سوى ثرى قرطبي

لمست فيه عيرة الدهر خمسي

يا وقى الله ما أصبح منه

وسقى صفوة الحيا ما أمسي

قريفة لا تعد في الأرض كانت

تمسك الأرض أن تميد وترسي

غشيت ساحل المحيط وغطت

لجة الروم من شرع وقللس

ركب الدهر خاطري في ثراها

فأتى ذلك الحمى بعد حدس

فتجلت لي القصور ومن فيها

من العز في منازل قعس

سنة من كرى وطيف أمان

وصحا القلب من ضلال وهجس

وإذا الدار ما بها من أنيس

وإذا القوم ما لهم من محس

ورقيق من البيوت عتيق  
جاوز الألف غير مذموم حرس  
أثر من (محمد) وتراث  
صار للروح ذي الولاء الأمس  
بلغ النجم ذروة وتناهي  
بين (نهلان) في الأساس و(قدس)  
مرمر تسبح النواظر فيه  
ويطول المدى عليها فترسي  
وسوار كأنها في استواء  
ألفات الوزير في عرض طرس  
فترة الدهر قد كست سطرها  
ما اكسى الهدب من فتور ونعس  
ويجها ! كم تزينت لعليم  
واحد الدهر واستعدت الخمس  
وكان الرفيف في مسرح العين  
ملاء مسدترات الدمقس  
ومكان الكتاب يغريك رياً  
ورده غائباً فتدنو للمس

صنعة (الداخل) المبارك في

الغرب وآل له ميامين شمس

ويقول :

من (الحمراء) جللت بغيرار

الدهر كالجرح بين برء ونكس

كسنا البرق لومحا الضوء لحظاً

لمحتها العيون من طول قبس

حصن (غرناطة) ودار بني الأحمر

من غافل ويقظان نكس

ويقول :

جلل الثلج دونها رأس (شيري)

فبدا منه في عصائب برس

سرمد شيبه، ولم أر شيئاً

قبله يرجى البقاء وينسي

مشت الحادثات في غرف (الحمراء)

مشي النعي في دار عرس

هتكت عزة الحجاب وفضت

سدة الباب من سمير وأنسي

عرصات تخلت الخيل عنها  
واستراحت من احتراس وعس  
ومغان على الليالي وضاء  
لم تجد للعشي تكرار مس  
لا ترى غير وافدين على التاريخ  
ساعين في خشوع ونكس  
نقلوا الطرف في نضارة آس  
من نقوش، وفي عصارة ورس  
وقباب من لازورد وتير  
كالرب الشم بين ظل وشمس  
وخطوط تكفلت للمعاني  
ولألفاظها بأزين لبس  
وترى مجلس السباع خلاء  
مقفر القاع من ظباء وخنس  
لا (الثريا) ولا جوارى الثريا  
يتزلن فيه أقمار إنس  
مرمر قامت الأسود عليه  
كلية الظنر لينات المحس

تشر الماء في الحياض جماناً

يبتزى على ترائب ملس

آخر العهد بالجزيرة كانت

بعد عرك من الزمان وضمس

فترها تقول: راية جيش

باد بالأمس بين أسر وحس

ومفاتيحها مقاليد ملك

باعها الوارث المضيع ببخس

خرج القوم في كرائب صم

عن حفاظ كموكب الدفن حرس

ركبوا بالبحار نعشاً وكانت

تحت آبائهم هي العرش أمس

رب بان لهادم، وجموع

لمشت ومحسن لمخس

إمرة الناس هممة لا تأن

لجبان ولا تسنى لجبس

يا دياراً نزلت كالخلد ظلاً

وجنى دانياً وسلسال أنس

محسنت الفصول لا ناجر فيها

بقيظ ولا جمادى بقرس

لا تحش العيون فوق ربها

غير حور حو المرافف لعس

كسيت أفرخي بظلك ريشاً

وربا في رباك واشتد غرسي

هم بنو مصر لا الجميل لديهم

بمضاياع ولا الصنيع بمنسي

من لسان على ثنائك وقف

وجنان على ولائك حبس

حسبهم هذه الطلول عظمات

من جديد على الدهور ودرس

وإذا فاتك التفات إلى الماضي

فقد غاب عنك وجه الناسي

وفي هاتين القصيدتين تأثر واضح وتناص ملموس يمكن وضع

أيدينا عليه.

وبداية نوضح أن المعارضة نظام خاص ، وقراءة خاصة يقوم بها المبدع للنص الغائب، يستطيع من خلالها بناء نصه الجديد عبر آليات : الاجترار، والامتصاص، والحوار، والمحاكاة ، ويبرز التناس بين المعارضتين السابقتين فيما يأتي:

١- كتب البحثري قصيدته السينية الخالدة التي جابت الآفاق ، وتناقلتها الألسنة والأقلام عبر عصور طويلة من الأدب ، وأشبعها النقاد ومتخصصو الأدب والنقد درسا وتحليلا ، كتبها البحثري عندما زار بلاد الفرس ورأى إيوان كسرى وما آل إليه حاله ، وحركت ( صورة أنطاكية ) بواعث الأسى والحزن وهويرى الجنود والقادة الفرس في معاركهم التي خاضوها وأبلوا فيها بلاء حسنا ، وراح يسترجع أيام الفرس وما كان لها من صولة وجولة ، وما كان لكسرى من سلطان وصولجان ، فجاءت السينية محملة بمشاعر الأسى ، مفعمة بتباريح الألم والتحسر، مبرزا أن الأيام دول، وأنه من المحال أن تدوم الدنيا على حال .

٢- والفكرة نفسها نجدها عند أمير الشعراء أحمد شوقي ، فقد كتب سنيته المشهورة بعيدا عن مصر، وقد حرمه المحتلون منها عندما نفوه إلى الأندلس وهناك تذكر ربوع مصر وما فيها جمال طبيعة

واعتدال مناخ ، ويتذكر بنفس والهة ملهوفة تاريخ مصر العريق ،  
وما شاده ملوكها وأبناؤها العظام ، ويتناول آثارها وحضارتها  
من معابد وأهرامات وعمارة متميزة أبهرت العالم وجعلت مصر  
مثار الاهتمام ، ويتذكر نيلها العذب وما أفاض على الوادي من  
خير وعطاء ، وما أفاض عليه من زرع ونماء، ثم يجتر أيام صباه  
ونكرياته العذبة في ربوعها بين أهله وذويه ، فينظر حزنا وألما ،  
ويزداد شوقا لتراب وطنه العظيم ، ويأسى لما آل إليه حال  
المصرين وقد فرقهم الاحتلال الإنجليزي وباعد بينهم وبين وطنهم  
لينفرد بخيرات مصر ينعم بها ويتقلب في خيرها .

٣- القصيدتان تسيران على إيقاع بحر واحد هو البحر الخفيف ، بما  
يحمل من تنوع في التفعيلات ، وهذا في حد ذاته أعطى الشعارين  
مساحة واسعة للتعبير عن أبعاد تجربتهما ، فضلا عما في اختيار  
السين المكسورة رويًا من توفيق ملحوظ ، فقد جاء معبرا عما  
يعانيه كل من الشعارين من انكسار وحزن .

٤- ولا يقف التناص عند هذا الحد بل هناك أبيات عند شوقي تكاد  
تتفق في بعض ألفاظها ومعانيها مع ما كتبه البحري نذكر  
نماذج منها :

يقول البحتري :

أذكَرْتِيَهُمُ الخُطوبُ التَّوَالِي وَآلَقَد تُذَكِّرُ الخُطوبُ وَتُنْسِي

ويقول شوقي :

اختلاف النهار والليل ينسي

اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

ويقول البحتري :

لَمْ يَعْجِبُهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّي — سَاجٍ وَأَسْتَلَّ مِنْ سُورِ الدَّمَقْسِ

ويقول شوقي :

وكان الرفيف في مسرح العي — من ملاء مدنرات الدمقس

ويقول البحتري :

أَتَسَلَّى عَنِ الخُطُوطِ وَأَسَى لِمَحَلِّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسِ

ويقول شوقي :

حسبهم هذه الطلول عظمات

من جديد على الدهور ودرس

ويقول البحتري :

تَصِفُ العَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا — ءَ لُهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُرْسِ

ويقول شوقي :

خرج القوم في كئيب صم

عن حفاظ كموكب الدفن خرس

ويقول البحري :

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ الرُّيَاسًا مِنْهُ لِيَتَعَسَى وَتَكْسَى

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي :

لا ترى غير وافدين على التاريخ

ساعين في خشوع ونكس

ولنا أن نطلع على نموذج آخر من المعارضات لنتبين ما فيه

تناص وأخذ وما بينهما من تماثل ومحاكاة ، وتأمل معي نونية ابن

زيدون التي يقول فيها :

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِيَا،

وَتَابَ عَنِ طَيْبِ لُقْيَانَا جَمَافِيْنَا

أَلَا وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْيَمِينِ، صَبَّحْنَا

حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِيْنَا

مَنْ مَبْلَغُ الْمَلْبَسِيْنَا، بَانْتِرَاجِهِمْ،

حُزْنَا، مَعَ الدَّهْرِ لَا يَلِي وَيُؤَلِّيْنَا

غِيْظَ الْعِدَا مِنْ تَسَاقِيْنَا الْهَوَى فِدَعَوْا

بِأَنْ نَعَصْرٌ، فَقَالَ الدَّهْرُ آمِيْنَا

فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِيْنَا؛

وَأَبَتْ مَا كَانَ مَوْضُوعًا بِأَيْدِيْنَا

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخَشَى تَفَرَّقْنَا،

فَالْيَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَلَمْ نُعْتَبْ أَعَادِيكُمْ،

هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَى أَعَادِنَا

لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ

رَأْيًا، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينًا

مَا حَقًّا أَنْ تُقَرَّوْا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ

بِنَا، وَلَا أَنْ تُسُرَّوْا كَاثِحًا فِينَا

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّينَا عَوَارِضُهُ،

وَقَدْ يَسُنُّنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُعْرِينَا

ويقول :

بِئْسَ وَبِنَا، فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا

شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلَا حَفَّتْ مَاقِينَا

نَكَادُ، حِينَ تُتَاجِعُكُمْ ضَمَائِرُنَا،

يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا

حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَامُنَا، فَغَدَّتْ

سُودًا، وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لِيَالِينَا

إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَّقَ مَنْ تَأَلَّفْنَا؛

وَمَرَبَعُ اللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

وَإِذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الْوَصْلِ دَانِيَةً

قِطَافُهَا، فَحَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا

لِئْسَقَ عَهْدِكُمْ عَهْدَ السَّرُورِ فَمَا

كُنْتُمْ لِأُرُوَاجِنَا إِلَّا رِيَّاحِينَا

لَا تَحْسَبُوا نَائِكُمْ عَنَّا يَغَيِّرُنَا؛

أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِينَا

وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُمْ أَهْوَاؤَنَا بَدَلًا

مِنْكُمْ، وَلَا انصَرَفْتُمْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

ويقول :

يَا سَارِيَّ الْبَرِّقِ غَادِ الْقَصْرَ وَأَسْقِ بِهِ

مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالسُّودَّ يَسْقِينَا

وَأَسْأَلُ هُنَالِكَ: هَلْ عَنَى تَذَكُّرُنَا

إِلْفَاءً، تَذَكُّرُهُ أَمْسَى يَعْنِينَا؟

وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا

مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يَجِينَا

فهل أرى الدهر يقضينا مساعفةً  
 منه، وإن لم يكن غباً تقاضينا  
 ريبُ ملك، كأنّ الله أنشأه  
 مسكاً، وقدّر إنشاء الورى طينا  
 أو صاغه ورقاً محضاً، وتوجه  
 من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً  
 إذا تآود أدثه، رفاهيّة،  
 ثوم العقود، وأدمته البرى لينا  
 كانت له الشمس ظمراً في أكلته،  
 بل ما تحلّى لها إلاّ حيننا  
 كأنما أثبتت، في صحنٍ وحتيه،  
 زهر الكواكب تعويداً وتزينا  
 ما ضرّ أن لم تكن أكفاه شرفاً،  
 وفي المودة كافٍ من تكافينا؟  
 يا روضةً طالما أجتت لواجظنا  
 ورداً، جلاء الصبا غضاً، وتسرينا

ويقول :

ويا حياة تملينا، بزهرتها،  
 منى ضروباً، ولذات أفانينا

وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا، مِنْ غَضَارَتِهِ،  
 فِي وَشِي نُعْمَى ، سَحَبْنَا ذَيْلَهُ حِينَا  
 لَسْنَا نُسَمِّكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً؛  
 وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلِي عَنِ ذَاكَ يُغْنِينَا  
 إِذَا انْفَرَدَتْ وَمَا شُورِكْتِ فِي صِفَةٍ،  
 فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضْحَاحًا وَتَبْيِينًا  
 يَا جَنَّةَ الْخَلْدِ أَبْدِلْنَا، بِسَدْرَتِهَا  
 وَالْكَوْثِرِ الْعَذْبِ، زَقَوْمًا وَغَسَلِينَا  
 كَأَنَّكَ لَمْ نَبِتْ، وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا،  
 وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا  
 إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللَّقَاءُ بِكُمْ  
 فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَتَلْقَوْنَا  
 سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا،  
 حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصَّبْحِ يَفْشِينَا  
 لَا غَرَوَ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحَزْنَ حِينَ نَهْتِ  
 عَنْهُ النُّهَى ، وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا  
 إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى ، يَوْمَ النَّوَى ، سُورًا  
 مَكْتُوبَةً ، وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ يَكْفِينَا

أمّا هوالك، فلم نعدل بمنهاله  
 شرباً وإن كان يُروينا فيظميننا  
 لم نجفُ أفقَ جمالِ أنتِ كوكبهُ  
 سألينَ عنه، ولم نهجرهُ قاليَنا  
 ولا اختياراً تحببناه عن كئيب،  
 لكن عادتنا، على كره، عوادينا  
 نأسى عليكِ إذا حُتت، مُشعشعة،  
 فينا الشُّمولُ، وغنائنا مُغنيننا  
 لا أكوسُ الرّاحِ بُدي من شمائلنا  
 سيّما ارتياح، ولا الأوتارُ تلهيننا

ويقول :

دومي على العهد، ما دُمننا، مُحافظتة،  
 فالحرُّ من دانٍ إنصافاً كما ديننا  
 فما استعضنا خليلاً منكٍ يجبّسنا  
 ولا استفدنا حيباً عنكٍ يثيننا  
 ولَوْ صبا نحونا، من علوٍ مطلعته،  
 بدرُ الدجى لم يكن حاشاكٍ بصيبتنا  
 أبكي وفاءً، وإن لم تبذلي صلةً،  
 فالطيفُ يُقنعنا، والذكرُ يكفيننا

وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ، إِنْ شَفَعَتْ بِهِ

بِيضَ الْأَيْدِي، الَّتِي مَا زِلْتَ تُؤَلِّينَا

عَلَيْكَ مِّنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ

صَبَابَةٌ بِكَ نُخْفِيهَا، فَتَخْفِينَا

وهذه نونية شوقي :

نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟

قصت جناحك جالت في حواشينا؟

أخا الغريب : وظلا غير نادينا

سهماً ، وسل عليك البين سكيننا

من الجناحين عي لا يلبيننا

إن المصائب يجمعن المصابيننا

ولا أدكارا ، ولا شجوا أفانينا

وتسحب الذى ترتاد المؤاسينا

فمن لروحك بالنطس المداويننا

وإن حللنا ريفاً من رواييننا

نجيش بالدمع ، والإجلال يثيننا

ولا مفارقهم إلا مصليننا

يا نائح الطلح أشباه عوادينا

ماذا تقص علينا غير أن يدا

رمى بنا البين أيكا غير سامرنا

كل رمته النوى ريش الفراق لنا

إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع

فإن يك الجنس يابن الطلح فرقنا

لم تأل ماءك تحنانا ولا ظلماً

تجر من فنن ساقا إلى فنن

أساة جسمك شتى حين تطلبهم

ويقول :

آهنا لنا نازحى أيك بأندلس

رسم وقفنا على رسم الوفاء له

لفتيه لا تنال الأرض أدمعهم

للناس كانت لهم أخلاقهم ديننا  
كالخمر من بابل سارت لدارينا  
تمائل الورد خيرا و نسرينا  
دموعنا نظمت منها مرائينا  
وكدن يوقظن في الترب السلاطينا

عين من الخلد بالكافور تسقينا  
وحول حافاتها قامت رواقينا  
وأربع أنست فيها أمائنا  
ومغرب لحدود من أوالينا  
من بر مصر وريحان يغاديننا  
وباسمه ذهبنت في اليم تلقينا  
للحاضرين وأكواب لباديننا  
بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا  
هاج البكا فحضبنا الأرض باكيننا  
على نيام ولم تفتف بسالينا  
قيام ليل الهوى للعهد راعينا

لو لم يسودوا بدين فيه منبهة  
لم نسر من حرم إلا إلى حرم  
لما بنا الخلد نابت عنه نسخته  
نسقى تراهم ثناء ، كلما نثرت  
كادت عيون قوافينا تحركه  
ويقول :

لكن مصر وإن أغضت على مقعة  
على جوانبها رفت تمائنا  
ملاعب مرحت فيها مآربنا  
ومطلع لسعود من أواخرنا  
بنا فلم نخل من روح يراوحنا  
كأم موسى على اسم الله تكفلنا  
ومصر كالكرم ذى الإحسان فاكهة  
يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا  
لما ترقرق فى دمع جوانحنا  
الليل يشهد لم تهنك دياجيه  
والنجم لم يرنا إلا على قدم

كزفرة في سماء الليل حائرة  
بالله إن جبت ظلماء العباب على  
ترد عنك يدها كل عادية  
حتى حوتك سماء النيل عالية  
وأحرزتك شفوف اللازورد على  
وحازك الريف أرجاء مؤرجة  
فقف إلى النيل واهتف في خمائله  
وأس ما بات يذوى من منازلنا  
ويا معطرة الوادي سرت سحراً  
ذكية الذيل لو خلنا غلالتها  
ويقول :

أجشمت شوك السرى حتى أتيت لنا  
قلو جزيناك بالأرواح غالية  
هل من ذوبك مسكى نحمله  
إلى الذى وجدنا ود غيرهم  
يا من نغار عليهم من ضمائرنا  
ناب الحنين إليكم فى خواطرنا  
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا

مما نردد فيه حين يضيونا  
بجانب النور محدودا بجرينا  
إنساً يعثن فساداً أو شياطينا  
على الغيوث وإن كانت ميامينا  
وشى الزبرجد من أفواف واديننا  
ربت خمائل واهتزت بساتينا  
وانزل كما نزل الطل الرياحينا  
بالحادثات ويضوى من مغائنا  
فطاب كل طروح من مرامينا  
قمص يوسف لم نحسب مغائنا

بالورد كتباً وبالربا عناوينا  
عن طيب مسراك لم تنهض جوازينا  
غرائب الشوق وشيا من أمالينا؟  
دنيا وودهمو الصافي هو الديننا  
ومن مصون هواهم فى تناجينا  
عن الدلال عليكم فى أمالينا  
فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا

حتى أتتنا نواكم من صياصينا  
ثميتنا فيه ذكراكم وتحيينا  
يكاد في غلس الأسحار يطوينا  
حتى يزول ، ولم تهدأ تراقينا  
حتى قعدنا بما : حسرى تقاسينا  
للشامتين ويأسوه تأسينا

أنا ذهبنا وأعطاف الصبا لنا  
ترف أوقاتنا فيها رياحين  
والسعد حاشية، والدهر ماشينا  
بلقيس ترفل في وشى اليمانينا  
لو كان فيها وفاء للمصافينا  
والسيل لو عف، والمقدار لو ديننا  
ماء لمسنا به الإكسير أو طينا  
على جوانبه الأنوار من سيننا  
عهد الكرام وميثاق الوفيننا  
إلا بأيامنا أو في ليالينا  
منا جيادا ولا أرخي مياديننا

وما غلبنا على دمع ولا جلد  
ونابغي كان الحشر آخره  
طوى دجاء بجرح من فراقكمو  
إذا رسى النجم لم ترفأ محاجرنا  
بتنا نقاسى الدواهي من كواكبها  
يدو النهار فيخفيه تجلدنا  
ويقول:

سقى لعهد كأكناف الربى رفة  
إذا الزمان بنا غيناء زاهية  
الوصل صافية ، والعيش ناغية  
والشمس تختال في العقيان تحسبها  
والنيل يقبل كالدنيا إذا احتفلت  
والسعد لو دام، والنعمى لو اطردت  
ألقى على الأرض حتى ردها ذهبنا  
أعداه من يمنه التابوت وارتسمت  
له مبالغ ما في الخلق من كرم  
لم يجر للدهر إعدار ولا عرس  
ولا حوى السعد أطفى في أعتته

ويقول :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا  
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق  
لم تتزل الشمس ميزانا ولا صعدت  
ألم تؤله على حافاتهِ ورأت  
إن غازلت شاطئه في الضحي لبسا  
وبات كل مجاج الواد من شجر  
وهذه الأرض من سهل ومن جبل  
ولم يضع حجرا بان علي حجر  
كأن أهرام مصر حائطه هضمت  
أوأنه الفخم من عليا بمقاصره  
كأنها ورمالا حولها التطممت  
كأنها تحت لألاء الضحي ذهبا  
أرض الأبوة والميلاد طيبها  
كانت محجلة ، فيها مواقفنا  
فآب من كره الأيام لآعبنا  
ولم ندع لليالي صافيا ، دعت

ولم يهن بيد التشتيت غالينا  
إذا تلون كالحرباء شانينا  
في ملكها الضخ عرشا مثل واديننا  
عليه أبناءها الغر الميامينا ؟  
خمائل السنندس الموشية الغينا  
لوافظ القز بالخيطان ترمينا  
قبل القياصر دناها فراعينا  
في الأرض إلا علي آثار باننا  
به يد الدهر لا بيان فانينا  
يفني الملوك ولا يبقى الأوانينا  
سفينة غرقت إلا أساطينا  
كنوز فرعون غطين الموازيننا  
مر الصبا من ذيول من تصايينا  
غرا مسلسلة المجرى قواقينا  
وثاب من سنة الأحلام لاهينا  
بأن نغص فقال الدهر : آمينا

لو استطعنا لخصنا الجو صاعقة      والبر نار وغي ، والبحر غسلينا  
سعيًا إلى مصر نقضى حق ذاكرنا      فيها إذا نسي الوافي وباكينا  
كثر بجلوان عند الله نطلبه      خير الودائع من خير المؤدينا  
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا      لم يأته الشوق إلا من نواحيننا  
إذا حملنا لمصر أوله شحنا      لم ندر أي هوى الأمين شاجينا

وفي هذين النموذجين تناص ملحوظ :

• يبرز ابن زيدون في قصيدته ما يختلج في صدره من لواعج الشوق، وما يدور في نفسه من زفرات الأسى ، وما يحمل في قلبه من شوق وحنين فاق كل حد ، ثم يتذكر محبوبته وولادة ، ولا ينفك يذكر سماتها وما تتمتع به من جمال خلاب ، وروح طيبة طالما فاضت عليه ودا وحنانا ، وهي في ابتعادها تعتصره شوقا وحرمانا ، فلا ينفك يطلعنا على ما في داخله من تباريح الشوق وآلام الجوى متعلقا باللقاء الذي صار بعيد المنال في هذه الدنيا، ولكنه أمل فيه حتى ولو في مواقف الحشر ، يقول :

إن كان قد عزّ في الدنيا اللقاء بكم  
في موقف الحشر نلقاكم وتلقونا

• أما أمير الشعراء أحمد شوقي فمحبوبته مصر، وقد باعد جنود الاحتلال الإنجليزي بينه وبينها فصار في منفاه يجترع عبير الذكريات وأيام الصبا وساعات اللقاء بأهله وذويه، ثم يتغنى بتاريخ مصر العريق، ويصف حضارتها، الرائعة، وشمسها الساطعة ومناخها الطيب، وما فيها من وابل صيب، كما يشدو بنيها العذب الذي غمر الوادي وملاه خصبا وجاد عليه بالنماء وفاض عليه بالخير والعطاء، ويصف أهلها الطيبين وما يتمتعون به من طيب خلق وكرم.

• وقد وقّع الشاعران أنغام قصيدتيهما على إيقاع بحر البسيط الثري بتفعيلاته فأتاح لهما متسعا ومتحهما رحابة في التعبير عما يحملان من مشاعر وأفكار، أما حرف الروي ( النون المشبعة بالألف ) فما أجمله في موضعه ! لقد جاء مناسبا لحالة الأسى، وما كان عليه الشاعران من وله وحزن في لحظات افتراقهما عن إلفهما .

• وهذا تناص ملموس في الأبيات، نلمحه عند شوقي بارزا في ثنايا ومتعطفات نونيته مثل :

يقول ابن زيدون :

وَلَا اخْتِيَارًا نَحْبِنَاهُ عَنْ كَتَبٍ،

لَكِنْ عَدَدْتَنَا، عَلَى كُرْهِ، عَوَادِينَا

ويقول شوقي :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا      نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟

يقول ابن زيدون :

يا ساريَ البرقِ غادِ القصرَ وأسقِ به

مَنْ كَانَ صِرْفَ الهوى وَالوُدَّ يَسْقِينَا

ويقول شوقي

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا      بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا

ويقول ابن زيدون

إِنَّا قرأنا الأسى ، يومَ التوى ، سُوراً

مَكْتُوبَةً ، وَأَخَذْنَا الصَّيرَ يَكْفِينَا

ويقول شوقي

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا      فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا

يقول ابن زيدون :

إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ ، رَفَاهِيَةَ ،

ثُمَّ العُقُودِ ، وَأَدَمَتُهُ البُرَى لِنَا

كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِئراً فِي أَكْلَتِهِ ،

بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحْيَانَا

ويقول شوقي :

ويا معطرة الوادي سرت سحراً فطاب كل طروح من مرامينا  
ذكية الذيل لو خلنا غلاتها قميص يوسف لم نحسب مغالينا  
يقول ابن زيدون :

أما هواك، فلم نعدِلْ بمنهَلِه  
شُرْباً وإن كان يُروينا فيظمينَا  
لم نخفُ أفقَ جمالِ أنتِ كوْكُبُه  
سالينَ عنه، ولم نهجُرُه قالينَا

ويقول شوقي:

الليل يشهد لم تهتك دياجيه على نيام ولم تهتف بسالينا  
والنجم لم يرنا إلا على قدم قيام ليل الهوى للعهد راعينا  
هذه نماذج للمعارضات الشعرية التي أثرت ساحة الشعر،  
وأنبتت في جوانبه غراسا وارفة الأفنان تهمي بالعطر والريحان ، وما  
زالت تبعث في أرجائنا عطرا طيبا ، لم يغض من شأنها ما فيها من  
تناس ، ولم يقلل من قيمتها ما فيها من أخذ وتأثر.

وقد كتب أمير الشعراء أحمد شوقي إلى شاعر النيل حافظ  
إبراهيم، في سنة ١٩١٧ وكان شوقي منفيًا في الأندلس فأرسل هذه  
الآبيات لحافظ إبراهيم:

يا ساكني مصر إنا لا نزال على عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا  
هلا بعثم لنا من ماء نركم شيئاً نبل به أحشاء صاديننا  
كل المناهل بعد النيل آسنة ما أبعد النيل إلا عن أمانينا  
فأجابه حافظ إبراهيم بهذه الأبيات:

عجبت للنيل يدري أن بلبه صاد ويسقي ري مصر ويسقينا  
والله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشتهم لنا  
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمينا  
ومن أنواع التناس:

### ٣ نثر المنظوم :

ويكون بتحويل القصيدة الشعرية إلى نص نثري ، وهذه الظاهرة قديمة، تناولها شيوخ النقد وأساتذته القدامى، أشار إليه الثعالبي في كتاب سماه ( نثر النظم وحل العقد ) ، كما تناوله أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين في باب سماه ( في حسن الأخذ وحل المنظوم ) ، وابن الأثير، وغيرهما من النقاد ، وليس لي القارىء المحترم باستعراض ما كتبه شيخنا الجليل العلامة ضياء الدين ابن الأثير .

تناول ابن الأثير ظاهرة نثر المنظوم في كتابه ( الوشي المرقوم في حل المنظوم ) وهو يختلف عن سابقه الذين كتبوا في هذه الظاهرة ،

ذلك أن الثعالبي جعل كتابه نثر النظم وحل العقد إرضاء (لولي النعم أبي العباس خوارزم شاه) أما كتاب ( الوشي المرقوم في حل المنظوم ) فهو كتاب تعليمي ، يعلم فيه ابن الأثير ويهدف إلى إكساب القارئ مهارة حل المنظوم ونثره .

يعترف ابن الأثير - رحمه الله - أنه ليس أول من كتب في هذه المسألة ، وأن آخرين سبقوه في تناولها" ولئن سبقني إلى حل الشعر سابق ، وطرق ورده قبلي طارق ، فإنه ركب البحر إلي هجينا لا هجانا ، وظن خواطري فيه سمیعة بصيرة ، وكانت صما وعميانا ، وليس كل بيضاء شحمة ، ولا كل بيان حكمة ، وما مثل من سبقني في هذا الفن ومثلي إلا كما قال أبو تمام :

مثل العجوز التي ولت بشاشتها      وبان عنها شباب كان يحظيها  
لُزت بها ضرة زهراء واضحة      كالشمس أحسن منها عند رائثها  
على أن كلا من الناس باستحسان ما يقوله مغرى ، ولا يزال المرء في أمان من عقله حتى يؤلف كتابا (ص ٤٦ ) لعله يقصد من قوله هذا أنه متميز عن غيره فيما كتب عن حل المنظوم من الشعر ، وله الحق في ذلك .

وشيخنا الجليل لم يكتف - في كتابه - بحل منظوم الشعر، بل تطرق إلى نثر ( شرح ) الأخبار النبوية، وشرح آيات القرآن الكريم .  
" وأما حل ( شرح ) آيات القرآن العزيز، فليس كثر المعاني الشعرية ، لأن ألفاظه ينبغي أن يحافظ عليها لكان فصاحتها(ص ٢٤).  
وقد قسم ابن الأثير كتابه إلى ثلاثة فصول ،

الفصل الأول : في حل الشعر

الفصل الثاني : في حل ( شرح ) آيات القرآن الكريم

الفصل الثالث : في حل ( شرح ) الأخبار النبوية

وهو في معرض تناوله حل المنظوم يدعو إلى ثلاثة أشياء ،

١- حفظ القرآن الكريم

٢- حفظ ما ينبغي له من الأخبار النبوية

٣- حفظ كثير من الشعر العربي .

أما الفصل الأول والذي عنون له ( حل الشعر ) فقد قسمه إلى ،

- حل الشعر بلفظه ( وجعله عشرة أقسام )

- حل الشعر ببعض لفظه

- حل الشعر بغير لفظه

ويبين أن حل الشعر يأتي في المؤخرة " وهو أدناها مرتبة أن يحل الشعر بلفظه ، وهذا لأفضلية فيه ، وقد يجيء منه ما عليه مسحة من جمال، وذلك نزيه سير، إلا أن الغالب على ما يحل بلفظه أن يأتي غثا باردا عليه قرة البلل، وفترة الخلل " ( ص ٥٨ ) .

أما من يفعل ذلك - يحل الشعر بلفظه - فإنه يزري به وهو " كمن هدم بناء ثم أخذ تلك الآلات المهدومة فأنشأ بها بناء آخر، فإنه يجيء مخلوق البناء لا محالة ، وكان الأولى منه أن ترك تلك الآلات واستجد آلات أخرى لتكون أحسن منه وأجمل " ( ص ٥٩ ) .

وهناك من الشعر ما لا يجوز حله ( ويقصد به الحكيم ) كقول المتنبي :  
لعل قولك محمود عواقبه وربما صحت الأجساد بالعلل  
وكذلك الأمر في أمثال العرب المشهورة مثل :

- أن ترد الماء بماء أكيس

- إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا

- اليوم خمر وغد أمر

وفي إطار حل مثل هذه الحكم يقول " ولا بأس بتقديم لفظ وتأخيرها في المثل إذا ورد على نصه وفصه " ( ص ٦٤ ) ويمثل لذلك بنماذج منها :

مثل ( أن ترد الماء بماء أكيس ) يقول في حله " قلت في فصل يتضمن ذكر الرجل الحازم وهو قد خبر الدهر في حلب أفأويقه ، ونقض موأثيقه ، فهو لا يرد الماء إلا بالماء ، ولا يرتضي بمسرى أرض بنجوم سماء ، ومن شأنه أن يرود الأمور برأيه ، ولا يبعث فيها رائدا" (ص ٦٤).  
وفي حل مثل ( إن كنت ريحا فقد لا قيت إعصارا ) يقول :  
"لقونا وقد أشرعوا الأسنة التي شاركتهم الأسماء ، وإذا وردت أروتهم من غليل الحقد ، كما ترتوي من شرب الدماء ، لكن زادها عن الورود ما هو أصلب منها عودا ، في يد من هو أمضى منهم حدا ، وأسعد جدودا ، وإذا لاقت الريح إعصارا زالت عن طريقه ، وضاق ذرعها بمضيقه " ( ص ٦٥ ).

كما بين أن من الأبيات التي لا يجوز حلها ما تناول أسماء القبائل والأشخاص ، والأبيات التي تتضمن تشبيهات راقية كقول امرئ القيس :

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي  
فقوله ( رطبا ويابسا ) و ( العناب والحشف البالي ) لا بد من ذكرهما كما ذكره امرؤ القيس ، لأنه تشبيهه مخصوص بألفاظ مخصوصة فلا يمكن تغيير ألفاظه ، وقد نثرت هذا البيت فقلت

"وأشهب تفخر السوابق بأنها له سمية ، وترتمي الطير في جو السماء ، وهي له رمية ...ولقد تكاثرت قلوب الطير لديه في كل حال ، حتى شبه رطبها ويا بسها بالعناب والحشف البالي " ( ص ٧٣).

ويقول في نثر بيت البحتي ،

فإذا الأسنة خالطتها خلتها      فيها خيال كواكب في ماء  
وقد قلت في نثره : " ولقد سنوا دروع الحديد على مثلها ، ولولا  
اتقاء البغي لرأوا حمل العار في حملها ، فإذا صافحتها أسنة  
الخرسان ، رأيت أشخاص الكواكب في غدران " ( ٧٥ ).

ويقول في نثر بيت امرئ القيس ،

وقد أعتدي والطيور في وكناتها      بمنجرد قيد الأوابد هيكل  
" فإن ألفاظه : منجرد ، وكنات ، أوابد ، هيكل : فرائد في مكانها  
لا يجوز تبديلها بغيرها ، بل إذا أريد حله وجب المحافظة على تلك  
الفرائد ، وقد حللته فقلت في وصف فرس أدهم : وطالما امتطيت سهوة  
مطهم نهد ، فغنيت عن نشوة الكميت من ذات نهد ، يسابق الريح  
فيغير وجهها دون شق غباره ، وإن ظهر عليها رجعت حسرى في  
مضماره ، نسب إلى الأعوج ، وهو مستقيم الكروالفر ، وقد حنقت عليه  
الشمس ، إذ لا يمكنها أن ترسم ظله على الأرض إذا مر ، ليلي الإهاب ،

لطم جبينه الصباح ببهائه، فغدا عليه وخاض يقتص منه في أحشائه ،  
وقد أغتدي عليه والطير في وكناتها، فلا يفوتني الأجدل ، وإذا أطلقتته  
تصيد الوحش ، رأيتني على منجرد قيد الأوابد هيكل " ( ٨٥ ) .

وكذلك في نثر بيت الشعر ،

يعيش المرء ما استحيا بخير ويقي العود ما بقي اللحاء  
ينثره ابن الأثير محافظا على ماتضمنه من حكمة ، ومحافظا على  
ما فيه من تشبيه له خصوصية ، وجاء بألفاظ خاصة أكسبته الخلود  
والبقاء ، مما يجعل تغيير ألفاظه سببا في إضعاف ما فيه من فصاحة  
وبلاغة .

وفي قول أبي تمام ،

إذا حاربت في خلق لئيماً فأنت ومن تجاربه سواء  
يقول في نثر هذا البيت : " إذا ماشيت اللئيم في طريقه ، فقد  
سأيرته في خلقه " ، ويقول عنه " إذا اتخذت اللئيم خليلا ، فقد صرت له  
عديلا " ويقول أيضا : " مجازاة اللئيم تسم وجه الحسب ، وتلحق الذبح  
بالغرب ، فإن الخلق السيء يستتبع الخلق الحسن على أثره ، وكدر الماء  
لا يبلغ بصفوه ، وصفوه مغلوب بكدره " ( ص ٩١ ) .

وفي إجمال طلب الرزق ، وأنه مقسوم لكل مخلوق ، غير مرتبط  
بقوة أو ضعف ، يورد ابن الأثير قول الشاعر :

يا طالب الرزق السني بقوة هيهات أنت بباطل مشغوف  
أكل العقاب بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف  
ويقول في حل هذا الشعر ونثره : " ينبغي للمرء ألا يحرص في  
طلب رزقه ، بل يكله إلى الله الذي تولى القسمة في خلقه ، فإن النسر  
يأكل الجيف بعنفه ، والنحل يرعى الشهد برفقه " ( ص ٩٦ ) .

ثم ينثر قول أملتنبني ،

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب  
ويزيد عليه ( إن الرفق بالجاني عتاب ، والإحسان إليه متاب )  
ويقول " إذا أحسنت إلى الجاني في قبالة جنايته ، كان ذلك سببا  
لتوبته أن يعاود جناية " ( ص ١١٨ ) .

وفي قول القائل ،

حل عنا فإنا أنت فينا واو عمرو أو كالحديث المعاد  
يقول : وقد أتيت بهذا المعنى على وجه آخر فقلت : " لم أر له في  
حظوظ المساعي من أثر ، فهو في عدم الحاجة إليه كواو عمرو ، وفي  
الامتناع من الصرف كراء عمر " ( ص ١٤١ ) .

وفي الفصل الثاني الذي خصصه لكيفية شرح ونثر آيات القرآن الكريم ، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وضع ابن الأثير هذا الفصل تحت عنوان ( حل آيات القرآن الكريم ) وبدأ الحديث فيه داعياً إلى حفظ آيات القرآن الكريم وان يتخذ المرء في شرح آياته طريقاً غير ما يتبع في حل الشعر وتثريه ، مخاطباً القارئ قائلاً : " واعلم أن كتاب الله هو أفصح الكلام وما ينبغي أن يسلك به مسلك الأشعار في حلها ، بل ينبغي أن يحافظ على ألفاظه لعدم القدرة على مماثلتها ومشابقتها " ( ص ١٧٤ ) .

ويفرق ابن الأثير بين حل ( شرح ) الآية وأخذها بنصها ، لأن ذلك - في رأيه - ليس من هذا الفن في شيء ، وغنما من باب التضمين .

وحل ( شرح ) آيات القرآن الكريم عنده على ضربين ،

الأول : أن يؤخذ بعض الآية فيجعل أولاً لكلام ، أو آخره .

الثاني : أن يؤخذ معنى الآية الكريمة .

ويورد لذلك أمثلة نذكر منها ،

● في ذم البخيل يقول : " جوده بعيد على الأمل ، غير مفتقر إلى العدل ، وإذا احتفل فهو نهر طالوت الذي حلل للغرفة لا للنهل ، وهذا مأخوذ من سورة البقرة في قول الله تعالى " فلما فصل

طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده " (ص ١٧٥).

• ويقول عن الاقتصاد في الرزق " الإنسان في كفالة الله يرزقه غير واثق، وهو في كل طريق سالك، ولكل باب فيه طارق، وكثيرا ما يأتيه وهو عنه نائم، ويقعد عنه وهو إليه قائم، وهذا تعريف في اناهوك فاتح أبوابه، ومسبب أسبابه... وهذه معان شريفة عالية لا يلم بها إلا خاطر كان على المعاني غواصا، ولأوان وحشها قناصا، وبعض ذلك مأخوذ من من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ... ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٠].

• وفي مجال التعزية يقول: " لو ذهب الحزن بالدمع وانهماله، والجزع وإعواله، لكان الصبر بصاحبه أحرى، ولولم ينل به اجرا، فكيف وصلاة الله ورحمته من ثوابه؟ والجلالة والتقى مطويان في ضمن ثيابه؟ وما اعتاد المرء صبيرا عن المصاب إلا كان فيه عوضا عن مصابه. في هذا الكلام معنى مأخوذ من القرآن الكريم في سورة البقرة في قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ... ﴾ [سورة البقرة: ١٥٧] (ص ١٨٣).

## وفي الفصل الثالث :

( حل الأخبار النبوية ) ،

يرصي ( ابن الأثير ) بحفظ ( الأماويك ) النبوية ؛ ويقسم حلها ( إلى تسمين ) .

الأول : أن يؤخذ بعض اللفظ فيجعل أولا .

الثاني : أن يؤخذ المعنى وحده ويتصرف فيه بوجوه التصرفات .

وهذه أمثلة مما تضمنها كتاب ( اللوشي ) ( المرقوم في حل المنظوم ) :

● يقول في حديثه عن الصدقة : " ليست الصدقة لمن مردت على

المسألة نفسه ، حتى صار فيها لحوحا ، وكلمت المطالب وجهه

حتى أصبحت فيه كدوحا ، إنما الصدقة لمن قمصه الفقر لباسا ،

فستره ذلك اللباس ، وكان لا يفتن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم

فلا يسأل الناس .

يقول :

" وهذا مأخوذ من موضعين من الأخبار النبوية : الأول قول النبي

صلى الله عليه وسلم " المسائل كدوح يكدح بها المرء وجهه ، إلا أن يسأل

السلطان ، أو في أمر لا يجد فيه بد " والثاني قوله صلى الله عليه وسلم

" ليس المسكين من ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرّة والتمرتان ، إنما

المسكين من لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفتن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم

فيسأل الناس " ( ص ١٩٨ ) .

• وما قاله ابن الأثير في بيان فضل الجهاد ووصف المسلمين :  
 "وما منهم إلا من مشى إلى الحمام مشي عمير بن الحُمام ، ورأى  
 حياة يومه طويلة فقصرها بمبادرة الإقدام ، ولا يغلو ذلك لمن  
 وجد سلعة الله سوقا ، وأحب أن يكون بعد موته حيا مرزوقا ،  
 وهؤلاء هم سيوف الله التي إذا جردت زالت الهام عن مناكبها ،  
 واستوى في القتل أنفوس مضروبها وضاربها ، فلا عليها إذا  
 جاهدت صابرة محتسبة ما كان من موارد هلكها ، ولا ألم عنها  
 للكلموم إذا جاءت يوم القيامة ولونها لون الدم وريحها ريح  
 مسك .

يقول ،

" وههنا معنى ثلاثة أخبار : الأول : ما ورد في حديث غزوة بدر؛  
 وهو أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى جنة عرضها  
 السموات والأرض " فقال عمير بن الحُمام : بخ بخ يا رسول الله ! فقال:  
 ما حملك على قولك : بخ بخ ؟ قال : رجاء أن أكون من أهلها فقال :  
 أنت من أهلها ، فأخرج تمرات من قرنه وجعل يأكلها ثم ألقاها من يده  
 وقال : إن حبيبت أكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة! ثم مشى إلى  
 العدو وقاتل حتى قُتل .

الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا إن سلعة الله غالية ،  
ألا إن سلعة الله الجنة " .

والثالث : ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل الجهاد ،  
وهو قوله : " والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا  
جاء يوم القيامة ولونه لون الدم وريحه ريح مسك " .

وفيه أيضا معنى قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩] (ص ٢٠٦) .

#### ٤- ومن التناص ( التقليد ) :

المراد به هنا أخذ أفكار الآخرين والسير على نهجهم وتتبعهم في  
طرائق عرضها ، وما يسلكون إليها من سبل ، ومن ذلك :

• تقليد البارودي وشوقي للمتنبي في تضمين قصائدهم كثيرا من  
الحكم كما كان المتنبي يفعل ، وهذه طائفة من حكم المتنبي :

- أظمتني الدنيا فلما جتتها

مستسقىا مطرت علي مصائبها

-بذا قضت الأيام ما بين أهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد

-ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

-من يهن يسهل الهوان عليه  
ما لجرح يميت ايلام  
-لولا المشقة ساد الناس كلهم  
الجود يفقر والإقدام قتال  
-وخير مكان في الدنيا سرج سابع  
وخير جليس في الزمان كتاب  
-ما كل ما يتمنى المرء يدركه  
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن  
-جود الرجال من الأيدي وجودهم  
من اللسان فلا كانوا ولا الجود  
-أبعين مفتقر إليك نظرتني  
فأهنتني ورميتني من حائق  
-لست الملموم أنا الملموم لأنني  
علقت آمالي بغير الخائق  
-ولو كن النساء كمن فقدنا  
لفضلت النساء على الرجال  
-فما التأنيث لاسم الشمس عيب  
ولا التذكير فحسر للهِلال

-قد كنت أشفق من دمعي على بصري

فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

-ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

-إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

-ورب عائب قولا صحيحا

وأفته من الفهم السقيم

-كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

-أما في هذه الدنيا كريم

تزول به عن النفس الموم

-ولم أر في عيوب الناس عيبا

كنقص القادرين على التمام

-ولما صار ود الناس خبئا (كذبا)

جزيت على ابتسام بابتسام

-كلما أنبت الزمان قناة

ركب المرء في القناة سنانا

-على غير اختيار قبلت برك لي  
والجوع يرضي الاسود بالجيف  
-خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا  
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا  
-إذا أنت أكرمت الكرم ملكته  
وإن أنت أكرمت الكئيم تمردا  
-وما قتل الأحرار كالعفو عنهم  
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا  
-شر البلاد بلاد لا صديق بها  
وشر ما يكسب الإنسان ما يصم  
-إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا  
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم  
-فصرت إذا أصابني سهام  
تكسرت النصال على النصال  
-فصرت لا أبالي بالرزايا  
لأني ما انتفعت بأن أبالي  
-وأتعب خلق الله من زاد همه  
وقصر عما تشتهي النفس وجده

-وإذا أتتك مدمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل

-الحزن يقلق والتحمل يردع

والدمع بينهما عصي طيع

-يتنازعان دموع عين مسهد

هذا يجيء بها وهذا يرجع

-وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت في مرادها الأجسام

-لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

-إذا غامرت في شرف مروم

فلا تقنع بما دون النجوم

-فطعم الموت في أمر حقير

كطعم الموت في أمر عظيم

-سلام الذي فوق السماوات عرشه

تخص به يا خير ماش على الأرض

-ولا بد من شكوى إلى ذي قرابة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

• وهذا البارودي يقول في بعض حكمه تقليدا للمتنبي :

ويا طيبَ هذا الليلِ لو دام طيبُ  
ولم يدر أن الدهرَ بالناسِ قلبُ  
لأبصرَ ما يأتي، وما يتجنبُ  
علينا، وأمرُ الغيبِ سرٌّ مُحجَّبُ  
فيا حُسْنَ ذاك اليومَ لو كان باقياً  
يود الفتى ما لا يكونُ طماعةُ  
ولو علم الإنسانُ ما فيه نفعُهُ  
ولكنها الأقدارُ تجري بحكمها  
ويقول ،

بادر الفرصة واحذر فوقها  
واغتنم عمرك إبان الصبا  
إنما الدنيا خيال عارض  
قلمما ييقى وأخبار تقص  
فبلوغ العز في نيل الفرص  
فهو إن زاد مع الشيب نقص  
قلمما ييقى وأخبار تقص  
ويقول أيضا :

لن ينال المرء بالعجز المنى  
إن ذا الحاجة مالم يفترب  
واترك الحرص تعش في راحة  
واجتنب كل غيبي مائق  
حيثما كان وفي الصدر غصص  
فهو كالبرغوث إن جد قرص  
يعرف الأخلاق إلا من فحص  
إنما الفوز لمن هم فنص  
عن حماه مثل طير في قفص  
قلمنا نال مناه من حرص  
فهو كالعير إذا جد قمص  
حيثما كان وفي الصدر غصص  
فهو كالبرغوث إن جد قرص  
يعرف الأخلاق إلا من فحص

وعلى هذه الشاكلة يقلد شوقي سابقيه : المتنبي والبارودي ، حتى  
لا تكاد تجد قصيدة من قصائده إلا وفيها أثر من خبرته الطيبة ،  
أوجكما من حكمه :

مثل :

أجد الحياة حياة دهر ساعة وأرى النعيم نعيم عمرٍ مقصرا  
وأعد من حزم الأمور وعزمها للنفس أن ترضى وألا تضجرا  
يا أيها السجناء في أموالهم أأمتمو الأيام أن تتغيرا؟  
لا يملك الإنسان من أحواله ما تملك الأقدار مهما قدرا  
لا يطرنك من حرير موطئ فلرب ماشٍ في الحرير تعثرا  
ويقول :

جناية الجهل على أهله قديمة والجهل بئس الدليل  
ويقول :

ولولا المحسنون بكل أرض لما ساد الشعوب ولا استقلوا  
ويقول :

ما كل أهل الزهد أهل الله كم لاعبٍ في الزاهدين لاه  
ويقول أيضا :

صاح لا تخش عظيمما فالذي في الغيب أعظم

ومن التقليد :

• تقليد الغربيين في الرمزية والتشاؤم وإظهار الحزن :

الرمز اصطلاحاً : هو اللفظ القليل المشتغل على معان كثيرة

بإيماء إليها ، أو لمحة تدل عليها .

وقد ظهرت الرمزية في العصر الحديث ، وعُرف بها الشعراء

المنتظمون إلى المذهب الرومانسي ، ليلهم إلى الولوج إلى العالم الذاتي

للشاعر، وما فيه من أحاسيس وانفعالات ، ولأنه يناسب الأجواء

الغامضة التي يصعب تحديدها وإيضاحها، فالرمز يوجز المعاني الكثيرة،

ويوحي بالدلالة دون الحاجة إلى التفصيل والبيان، ويجعل لدى المتلقي

جواً من التفاعل والدخول في حالة مشاركة مع الشاعر، وكان لكل

شاعر رومانسي رؤيته الرمزية وعالمه الخاص:

**ففي الغرب :**

• كان الشاعر (شيلي) يكثر من رموز الكهف والزورق والساقية

والأفعى والصقر، وكان يرمز بالقمر والعنديل والنوم .

• وكان فيكتور هوجو يعشق الرموز الأسطورية والطبيعية المملوءة

بالمهابة والرهبة

• وكانت أساطير اليونان وما تحمل من رموز ذات تأثير كبير في

كتابات الغربيين .

وقد انتقلت عدوى الرمزية ، كما انتقل غيرها – مع أشياء كثيرة – إلى شعرنا العربي ، وحسبك أن تتأمل دواوين الشعراء المعاصرين لتلمس الرمز واضحاً جلياً .

والرمزية العربية تعتمد على أساسين هما :

١- تناول المعنى بعبارات موجزة .

٢- التعبير عن الفكرة بطريقة غير مباشرة .

وفي إطلالة على موقف الشعراء العرب من الرمزية نجدتها بادية

لا تخطئها العين :

● فهذا ( إيليا أبو ماضي ) يقول في قصيدة المساء :

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين

لكنما عينك ذاهبتان في الأفق البعيد

سلمى بماذا تفكرين ؟

سلمى بماذا تحلمين ؟

أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم ؟

أم أبصرت عينك أشباح الكهولة في الغيوم ؟

أم خفت أن يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجوم ؟

أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنما

أطلالها في ناظريك تنم يا سلمى عليك

في هذا الجزء من القصيدة رموز كثيرة أتى بها (إيليا أبو ماضي)

تقليداً للرومانسيين الغربيين وتناصاً معهم ، وماتى به من رموز نلمسه

فيما يلي :

- الشمس الصفراء رمز لرحيل العمر .
- وسلمى هنا رمز للإنسان بوجه عام .
- والدجى الجاني رمز للنهاية العمر .
- والعنوان نفسه ( المساء ) رمز لانقضاء العمر .

وفي شعر بدر شاكر السياب كثير من الرموز :

فشبح الموت، هو الفكرة التي سيطرت على عقله وكيانه ، فلا

ينفك يذكر الموت كثيراً ، ويصف حالة القبر في شعره. ويجعل منه

رمزاً في حالة اليأس والفشل ، وهو الذي جعله في مراحل العمر يتدمر

من الملل والأسى ويكيى وينتحب كالسجين ويتمنى أن تطلق عليه

رصاصه الرحمة فيقول:

في ليالي الخريف الطوال؛

آه لو تعلمين

كيف يطغى عليّ الأسى و الملل؟

في ضلوعي ظلام القبور السجين،

في ضلوعي يصبح الردى  
بالتراب الذي كان أمي: "غدا  
سوف يأتي. فلا تقلقي بالنحيب  
عالم الموت حيث السكون الرهيب!  
سوف أمضي كما جئتُ واحسرتاه ا  
رصاصه الرحمة يا إله .

وهذا محمود حسن إسماعيل يرى في ( الموج ) رمزا لكل ما يكدر  
النفس البشرية ويحول بينها وبين السمو والانطلاق من شهوات  
وذنوب ومعاصٍ ، كما نلمح في شعره بعض مصطلحات الصوفية مثل :  
الحقيقة ، السر ، الوجد ، كل هذه الرموز نلمحها في قوله :

مزقي عن وجهك اليانع أسمال القناع  
وارفعي الستر بلا خوف على أي متاع  
زادك النور وفي دربك ينبوع الشعاع  
فانفذي فالسر إن سرت على قيد ذراع  
واصرعي الموج ، ولو أقبلت من غير شراع  
واركبي الإعصار والإصرار في وجه القلاع  
إنما الخائف عند الزحف محتوم الضياع

أما ( البحر ) في شعر محمود درويش ، فيحتل مساحة كبيرة ،

واستمع إليه يقول :

يا بحر البدايات إلى أين تعود ؟

أيها البحر المحاصر

بين أسبانيا وصور

هاهي الأرض تدور

لماذا لا تعود الآن من حيث أتيت ؟

آه من ينقذ هذا البحر ؟

دقت ساعة البحر

تراخي البحر

ويقول في القصيدة نفسها :

هل يموتُ البحرُ كالإنسان في الإنسان

أم في البحرِ؟

لا شيء يثير البحرَ في هذا المكانِ

ويقول:

حين نعتادُ الرحيلُ

مرَّةً

تصبح كُلُّ الأمانة

زَبَدًا نَظَفُوا عَلَيْهِ

وَنَمِيلُ

كَلِمًا مَالَتْ بِنَا الرِّيحُ

وَنَعْتَاذُ بُكَاءِ الأَحْصَنَةِ

حِينَ نَعْتَادُ الرِّحِيلُ

مَرَّةً

تَصْبِحُ كُلُّ الأَزْمَنِ

لِحِظَةٍ لِلْقَتْلِ

كَمْ مُتْنَا وَكَمْ مُتْنَا

وَكَانَ الكَهَنَةُ

خَدَمًا لِلسَّيْفِ مِنْذُ المَعْبَدِ الأَوَّلِ

حَتَّى آخِرِ الثُّورَاتِ

وَالعَاشِقُ عَبْدُ السُّوسَنِ

.... وَسَلامًا أَيُّهَا الأَرْضُ الأَسِيرَةُ

يَا الَّتِي كَانَتْ عِقَابَ اللهِ فِيْنَا

ثُمَّ صَارَتْ جَنَّةَ اللهِ الصَّغِيرَةَ....

مَنْ سَيَحْتَاجُ ضَحِيَّةً

لِيَرَى البَحْرَ أَمَامَهُ؟

من سيحتاج بمامة  
لُرَبِّي طفلة في البندقية؟  
من سيحتاج الضحية

فهو يجعل من البحر رمزا للقوة والعظمة والغموض ، ويجعله  
نقطة انطلاق يفرغ من خلالها ما في نفسه من معان وأحاسيس .  
وفي شعر نزار قباني نرى المرأة تحتل المقدمة فيما يأتي من رموز،  
هي عنده في كثير من شعره رمز للوطن ويشير إلى ذلك حين يقول :

كلما غنيت باسم امرأة  
أسقطوا عني قوميتي وقالوا  
كيف لا يكتب شعرا للوطن  
فهل المرأة شيء آخر غير الوطن ؟  
آه لو يدرك من يقرؤني  
أن ما أكتبه في الحب  
مكتوب لتحرير الوطن

وهناك الرمز الشعوري المأخوذ من ذاكرة الأدب العربي القديم  
والذي نلمحه في قول الشاعر مصطفى المسعودي :

آه كم أكره هذا الواقع  
أورثني المتنبى نخوته

أورثني ابن الرومي دمعته  
أورثني المجنون شقاوته  
أورثني الذل العربي الراهن بلواه  
ما أصعب أن يحيا الإنسان سجيناً  
منقسماً بين ظلام الواقع  
وزمان ضيعناه  
لكن... ارفع رأسك  
في أعماقك تحمل روح الله

نلمح في هذا النموذج الشعري توظيفاً للرمز الشعوري ، إذ  
يسترجع الشاعر الموروث الشعري العربي القديم ، ويجعل منه وسيلة  
يعبر بها عن رفضه الواقع المؤلم الذي تعيشه أمتنا العربية كما يعبر عن  
رفضه هذا الذل وهذا الانكسار.

أما ما يشيع في قصائد الشعراء الرومانسيين من نبرة الأسى  
والحزن فكثير نلمحه عند شعراء أبوللو والمهجر وغيرهم من الشعراء ،  
يقول إبراهيم ناجي:

يا حبيبا زرت يوماً أيكه طائر الشوق يغني ألمي  
لك إبطاء المذل المنعم وتجنبي القادر المحتكم  
وحسبي لك يكوي أضلعي والثواني جمرات في دمي

ويقول :

أعطني حريتي أطلق يديا      إنني أعطيت ما استبقيت شيا  
آه من قيدك أدمى معصمي      لم أبقيه وما أبقى عليا؟  
ما احتفاظي بعهود لم تصنها      وإلام الأسر والدنيا لديا؟

ويقول خليل مطران في قصيدة المساء :

إني أقمت على التعلّة بالمنى      في غربة قالوا تكون دوائني  
إن يشف هذا الجسم طيب هوائها      أيلطف النيران طيب هواء؟  
عبث طوافي في البلاد وعلّة      في علّة منقاي لاستشفائي

ويقول :

ولقد ذكرتك والنهار مودع      والقلب بين مهابة ورجاء  
وخواطري تبدو تجاه نواظري      كلمي كدامية السحاب إزائي  
والدمع من جفني يسيل مشعشا      بسنا الشعاع الغرب المترائي  
والشمس في شفق يسيل نضاره      فوق العقيق على ذرا سوداء  
مرت خلال غمامتين تحدرا      وتقطرت كالدمعة الحمراء  
فكان آخر دمعة للكون قد      مزجت بأخر أدمعي أرثائي  
وكانني أنست يومي زائلا      فرأيت في المرأة كيف مسائي؟

تأمل كيف حول الشاعر منظر الغروب الجميل إلى مشهد حزين  
مؤلم يبعث الأسى في النفس ، فالخواطر حزينة ، والشمس دامعة

باكية، تميل وتغرب منحدره على سحاب أسود ، وفي هذا المشهد  
الجنائزي المهيب نرى الكون يبكي مشاركة للشاعر، وكأنه يرى نهايته  
مائلة في مرآة هذا المساء الحزين .

وفي هذا تناص بين الشاعر وبين الومانسيين الغربيين من خلا  
تقليدهم في تشاؤمهم ، وسريان نزعة الحزن والألم في ثنايا قصائدهم .  
ومن أنواع التناص :

٥ - الأخذ من الموروث الديني :

مثل تضمين الشعر آيات من القرآن الكريم أو الحديث النبوي  
الشريف ، وأمثلة ذلك كثيرة منها :  
قول المتنبي :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود  
ومن شواهد العقد الفريد :

قال الحسين بن الحسن الدمشقي :

وأشهد معشرا قد شاهدوه

عنت لجلال هيته الوجوه

أنلني بالذي استقرضت خطا

فإن الله خلاق البرايا

يقول إذا تداينتم بدين فاكتبوه

مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَنفُسُهُمُ لِلَّهِ أَلْمِينُونَ... ﴾ [سورة طه: ١١١] ، وقوله: ﴿ يَتَأَيَّمُوا لَهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢] .

ويقول ابن النبيه في مدح الفاضل :

قمت ليل الصدود إلا قليلا      ثم رتلت ذكركم تترتلا  
 ووصلت السهاد أقبح وصل      وهجرت الرقاد هجرا طويلا  
 وفوادي قد كان بين ضلوعي      أخذته الأحباب أخذا وبيلا  
 قل لراقي الجفون إن لعيني      في بحار الدموع سبحا طويلا  
 ماس عجا كأنه مارأى      طليحا ولا كثيما مهيلا  
 وحمى عن محبه كأس ثغر      كان منه مزاجها زنجيلا  
 بان عني فصحت في أثر العيس      ارحموني وأمهلوهم قليلا

واضح جلي ما في هذا النموذج من تناص ، فهو مأخوذ من قول  
 الله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمُوا لَهَا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ ﴿١﴾ قُلْ أَلَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضْفَعُهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ  
 زِدْ عَلَيْهِ وَرِثَالِ الْقُرْمَانِ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الزمل: ١-٤] ومن قوله في السورة نفسها :  
 ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [سورة الزمل: ٧] وقوله: ﴿ ... وَكَانَتْ لِبِلَالٍ كَيْبًا مَّهِيلًا ﴾  
 [سورة الزمل: من الآية ١٤] وقوله: ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلًا مَّهْرًا قَلِيلًا ﴾ [سورة  
 الزمل: ١١] وقوله: ﴿ فَمَعْنَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولُ فَأَخَذَتْهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [سورة الزمل: ١٦] .

ومنه أيضا :

ما قاله الشاعر المصري الكبير: محمد عفيفي مطر، في قصيدته:  
(امرأة ليس وقتها الآن) التي نُشرت في ديوان: (أنت واحدها وهي  
أعضاؤك انتشرت ١٩٨٦م)، يقول .:

اصدع بما تحلمُ

الوقتُ أوسعُهُ مرَّ

أضيقُهُ مرَّ، أنت تخطيتها

أربعون من العمر ولت، بلاد تولت

فليتك تملي ولاءك للحلمِ

ثم يتناول الشاعر في قصيدته وصف حال من أخرجوه من

الأرض، وأبعدوه عن وطنه عنوة، بقوله :

أخرجوك من الأرض، كانت حواراتهم

لغة لست منها

الشوارعُ أوسعها أضيقُ الصرخات بقلبك

وحشيةُ الجوعِ أنسها يتفصّدُ بالرعبِ

لا تعدُّ عينك عنهم إذا دخلوا الحلم أو خرجوا

وهو بذلك يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى لنبيه

الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) " وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبُّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

٦ - ومنه تناص الفكرة :

بمعنى أن يأخذ شاعر فكرة شاعر آخر ويكسوها ألفاظا من عنده

مثل قول معروف الرصافي :

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم

ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوم

وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدموا

ودعوا التفهم جانبا فالخير أن لاتفهموا

وتثبتوا في جهلكم فالشر أن تتعلموا

أما السياسة فاتركوا أبدا وإلا تندموا

إن السياسة سرها لو تعلمون مطلسم

وإذا أفضتم في المباح من الحديث فمحموا

والعدل لا تتوسعوا والظلم لا تتجهموا

من شاء منكم أن يعيش اليوم وهو مكرم

فليمس لا سمع ولا بصر لديه ولا فم

لا يستحق كرامة إلا الأصم الأبكم

ودعوا السعادة إنما هي في الحياة توهم

فالعيش وهو منعم كالعيش وهو مذمم

فارضوا بحكم الدهر مهما كان فيه تحكم

وإذا ظلمتم فاضحكوا طربا ولا تتظلموا

إن قيل : هذا شهدكم مر فقولوا : علقم

أو قيل إن نهاركم ليل ، فقولوا : مظلم

أو قيل: إن نهاركم سيل، فقولوا مفعم

أو قيل: إن بلادكم يا قوم سوف تقسم

فحمدوا وتشكروا .. وترنخوا وترنموا

أخذ الجواهري الفكرة نفسها فرأيناها متناولة بأكملها في

قصيدة أسماها :

(تنويمة الجياع ) يقول فيها :

نامي جياع الشعب نا مي حرسك آهة الطعام

نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام

نامي على زبد الوعو ديزين معسول الكلام

نامي تزرك عرائس الأ حلام في جنح الظلام

وترى زرائبك الفسا ح مبلطات بالرخام

نامي فقد أضفى "العرا ء" عليك أثواب الغرام

نامي فقد أنهى "جميع الشعب" ايام الصيام

نامي فقد غنى "إله الحرب" ألحان السلام

نامي و سيري في منا  
نامي على تلك العظا  
يوصيك ألا تطعمي  
يوصيك أن تدعي المبا  
و تعوضني عن كل ذل  
نامي فنومك خ ير ما  
ويقول :

نامي فإن صلاح أمـ  
و العروة الوثقى! إذا اسـ  
نامي وإلا فالصـفو  
نامي تريحني الحاكمـ  
نامي فجدران السـجو  
نامي على جور كما  
نامي إليك تحيـتي  
نامي جيع الشعب نا

ر فاسد في أن تنامي  
تتقظت تؤذن بانقسام  
ف تؤول منك إلى انقسام  
ين من اشتباك و التحام  
ن تعج بالموت الزوام  
حمل الرضيع على القطام  
و عليك نائمة سلامي  
مي حركتك إلهة الطعام

في النصين تناص ملموس ، فالفكرة واحدة ، حيث نرى الموضوع واحدا يدور في فلك التهكم والسخرية من الأوضاع السيئة التي تعيشها الشعوب ، فالرصافي يحذر قومه من الكلام ويطلب منهم الصمت ، ويحذرهم من الشكوى ، ويطلب منهم الرضا بما يقع عليهم من ظلم . ويدعوهم إلى القناعة بما يقدم لهم من فئات وبقايا ، ويبين لهم أن السعادة كل السعادة في السكوت والخنوع .

وهذا الجواهري يدعو قومه إلى النوم والخلود إلى الدعة ، فقد تبسمت الحياة ، وحل السلام ، وانقشعت سحب الحرب ، وعم الصلاح ، ولم يعد للفساد مكان ، ويحثهم على النوم والرقاد حتى تستقيم أمور الحياة ، وهو يبين لهم ان النوم راحة لهم من عناء كبير ، وراحة للحاكمين لانهم يرون السعادة في غفلة شعوبهم .

وواضح ان قول الرصافي :

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوم

• أخذه الجواهري ونسج قصيدته من فعل الأمر ( نامي ) والذي

كرره سبعة عشر مرة في ثنايا قصيدته .

• غير أن الرصافي صاغ قصيده من بحر الكامل ( التام ) بينما

صاغ الجواهري قصيده من الكامل ( الجزوء ) .

## ٧ - التناسل التاريخي:

يعرف التناسل التاريخي بأنه تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنقاة مع النص الأصلي للقصيدة تبدو مناسبة ومنسجمة لدى المؤلف.

ومن ذلك نص (جدارية) للشاعر محمود درويش، يقول فيها:

"هزمتك يا موت الفنون جميعها.

هزمتك يا موت الأغاني في بلاد

الرافدين . مسلة المصري . مقبرة الفراعنة،

النقوش على حجارة معبد هزمتك

وانتصرت ، وأفلت من كمائتك

الخلود..."

يتضح التناسل عند الشاعر هنا في استجلاء صفحات من التاريخ المتمثل في حضارة الرافدين ، وحضارة الفراعنة ، وما تضم من مسلات وآثار وأحجار ومقابر دالة على ما قدمته هاتان الحضارتان من فن وعلم ومعارف أفادت البشرية ، وأشاعت في أرجائها العمران والتقدم .

ومن التناص التاريخي في شعر نزار قباني قصيدته التي يقول فيها:

في مدخل " الحمراء " كان لقاءنا ..

ما أطيّب اللقيا بلا ميعاد !

عينان سوداوان .. في حجرهما

تتوالد الأبعاد من أبعاد

هل أنت إسبانية؟ .. ساءلتها

قالت: وفي غرناطة ميلادي

غرناطة! وصحت قرون سبعة

في تينك العينين .. بعد رقاد

وأمية .. رايأقا مرفوعة

وجيادها موصولة بجياد

ما أغرب التاريخ .. كيف أعادني

لحفيدة سمراء .. من أحفادي

وجه دمشقى .. رأيت خلاله

أجفان بلقيس .. وجيد سعاد

ورأيت منزلنا القدم .. وحجرة

كانت بها أمة تمد وسادي

والياسمينه، رصعت بنجومها

والبركة الذهبية الإنشاد

\*\*\*

ودمشق .. أين تكون؟ قلت : ترينها

في شعرك المنساب نهر سواد

في وجهك العربي، في الثغر الذي

ما زال مختزنا شمس بلادي

في طيب " جنات العريف " ومائها

في الفل ، في الريحان، في الكباد

سارت معي .. والشعر يلهث خلفها

كسنا بل تركت بغير حصاد

يتألق القرط الطويل بجيدها

مثل الشموع بليلة الميلاد

ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي

وورائي التاريخ .. كوم رماد

الزخرفات أكاد أسمع نبضها

والزركشات على السقوف تنادي

قالت : هنا الحمراء .. زهو جدودنا

فأقرأ على جدرانها أجمادي

أجمادها!! ومسحت جرحا نازفا

ومسحت جرحا ثانيا بفؤادي  
يا ليت وارثي الجميلة أدركت  
أن الذين عنتم أجدادي  
عانقت فيها عندما ودعتها  
رجلا يسمى " طارق بن زياد "

وواضح أن الشاعر يستدعي تاريخ العرب في الأندلس وما كان  
لهم من ملك عريض ، وحضارة ، ومجد تليد ، فهو يتذكر قصر الحمراء ،  
وممالك العرب التي أقاموها : غرناطة ، وقرطبة ، وطليطلة ، وذلك حين  
يتحدث عن فتاته ، وقد رأى فيها ملامح أجداده العرب وما فيهم من  
شموخ وأنفة ، وبأسي لضياح هذا المجد العريق .

والتناص مع التاريخ يكون بأخذ نصوصه بطريقة أو بأخرى :  
بالإشارة إلى واقعة معينة ، أو باستدعاء موقف من المواقف ، أو تفسير  
ظاهرة ما ، أو تضمين النص الجديد إشارات تاريخية ذات صلة  
بموضوع النص .

ويتبادر للذهن سؤال : هل تعد الرواية التاريخية تناسبا تاريخيا؟  
يقول د / عبد الله حسين البار " وعلى ذلك أراني أميل إلى  
القول بنفي الصواب عن مصطلح (رواية تاريخية) ، وأوثر الاقتصاد  
على مصطلح (رواية) وكفى ، لأنه أعمق وأشمل ، فهو يحتوي على

(الحكاية) مثلما يحتوي على (الخطاب) وفيه تقف على مكونات المادة التي جبل منها النص، كما تتعرف على طرائف تشكيله وأساليب أدائه، وهو الأهم في هذا المقام.

وهذا يعني أن الرواية كائنة ما كانت مادتها الحكاية تظل في أول الأمر وآخره رواية ولا غير، والانفعال بها والتفاعل معها ينبعان من كونها رواية وليس من كونها موصوفة بصفة ما مستمدة من طبيعة مادتها الحكائية ولا غير. وهو أمر يدركه من وعوا من أسرار الصنعة الروائية ما وعوا، على أن سواهم تقاصروا عن ذلك فمضوا يستفهمون عن وظيفة (التاريخ) في (الرواية)، وسهل عليهم أن يجمعوا بينهما ليكونا فطراً روائياً اسمه الرواية التاريخية، وفاتهم أن تقنيات الجمال الأدبي كثيرة، يخلي الأديب عمله منها ما شاء له الإبداع والتفنن ويحلي الأديب عمله بها ما شاء له الإبداع والتفنن، ومن تلك التقنيات ما يسمى (بالتنصيص) وصوره شتى، منها ما يكون جزئياً وقد تتنوع مظاهره في العمل الأدبي الواحد. ومنها ما يكون كلياً يشتمل على صورة تتمدد في أجزاء النص وتتنامي في إطار قوانين تشكله وقواعد بنائه وفي هذا تقييد ينفي قدرة النصوص السابقة على إلغاء كيان النص الجديد ونفي هويته الإبداعية، فيظل على سمته النوعية رواية أو قصيدة

أو قصة أو مسرحية أو ما شابه ذلك أو دانه، مهما تنوعت به التقنيات وتعددت وبذلك يغدو التاريخ نصاً تتشكل منه نصوص لها قوانينها التشكيلية وقواعدها البنائية، وليس من أمر يلزم بأن توصف تلك النصوص الجديدة بالتاريخية. أن للشاعر الحق أن يستلهم التاريخ، فهل توصف قصيدته بالتاريخية؟ وكذلك للروائي الحق في استلهام التاريخ، فلم توصف روايته بالتاريخية؟

إن الخطاب التاريخي من حيث هو نص له هويته وخصائصه النوعية، لا يمنح الخطاب الروائي من حيث هو نص- هوية أو خصائص نوعية، ولكن «الخطاب التاريخي» يتراءى تقنية يشتمل عليها (الخطاب الروائي) وتتحكم فيها آلياتها وهي في مفهوم التناص آليتان، إحداهما هي الاستدعاء وثانيتها هي (الانزياح) ولقد يتفق الروائيون عند مرحلة الاستدعاء لكنهم يتخالفون عند مرحلة الانزياح فمنهم من يقف عند حدود النص الأول فيكرره على نحو ما دون أن يضيف إليه بعداً جديداً ومنهم من يخرج على حدود النص الأول فيخالفه رؤية ويشكل منه صورة غير ما قد ألفت عنه، ومنهم من يتمايز عن النص الأول بفرادة فيضيف إليه أبعادا ليست له من قبل وفي كل الحالات يمنح جنس العمل الأدبي الخطاب التاريخي سمات لا

يعرفها، وما كان له أن يعرفها لأن لكل خطاب هويته، وقوانين تشكله وقواعد بنائه.

أفصح لنا من بعد أن نصف (الرواية) بتناص مع التاريخ بأنها رواية تاريخية؟ أم يحق لنا أن ننظر إليها على أنها رواية وكفى؟ وما استخدام التاريخ فيها إلا تقنية من تقنيات الجمال الأدبي التي يتزين بها النص."

#### ٨ - التناص الوثائقي :

وهذا النوع يأتي بكثرة في النثر كالسرد والسير، ومحاكاة النصوص الرسمية التي ترد في الخطابات، والرسائل الشخصية والإخوانية .

ومثال ذلك ما نراه في السير الذاتية مثل :

- حياتي لأحمد أمين .
- الأيام لطله حسين .
- أنا لعباس العقاد .

يقول طه حسين في كتاب الأيام :

كان يجلس بين الطاعمين خجلاً وجلاً ، مضطرب النفس مضطرب حركة اليد ، لا يحسن أن يقطع لقمته ، ولا يحسن أن يغمسها في الطبق ، ولا يحسن أن يبلغ بها فمه ، ويخيل إلى نفسه أن

عيون القوم كلها تلحظه ، وأن عين الشيخ خاصة ترمقه خفية ، فيزيده هذا اضطراباً ، وإذا يده ترتعش ، وإذا بالمرق يتقاطر على ثوبه وهو يعرف ذلك ويألم له ولا يحسن أن يتقيه.

عَرِفَتْ لِنَفْسِهِ إِرَادَةً قَوِيَّةً ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَلْوَاناً مِنَ الطَّعَامِ لَمْ تَبِحْ لَهُ إِلَّا أَنْ جَاوَزَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ ، حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْحَسَاءَ وَالْأَرْزُوكَ وَالْأَلْوَانَ الَّتِي تَوُكَّلُ بِالْمَلَاعِقِ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ اصْطِنَاعَ الْمَلْعَقَةِ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَضْحَكَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ ، أَوْ تَبْكِي أُمَّهُ ، أَوْ يَعْلَمُهُ أَبُوهُ فِي هَدُوءٍ حَزِينٍ.

**ويقول :**

عاد إلى سكونه وجموده في ركنه الذي اضطر إليه ، وقد أخذ النهار ينصرم والشمس تنحدر إلى مغربها وأخذ يتسرب إلى نفسه شعور شاحب هادئ حزين ، ثم يدعو مؤذن المغرب إلى الصلاة فيعرف الصبي أن الليل قد أقبل ، ويقدر في نفسه أن الظلمة قد أخذت تكتنفه ، ويقدر في نفسه أن لو كان معه في الغرفة بعض المبصرين لأضيء المصباح ليطرده هذه الظلمة المتكاثفة ، ولكنه وحيد لا حاجة له إلى المصباح فيما يظن المبصرون ، وإن كان ليبراهم مخطئين في هذا الظن ، فقد كان في ذلك الوقت يفرق تفرقة غامضة بين الظلمة والنور. وكان

يجد في الصباح إذا أضيء جليساً له ومؤنساً . وكان يجد في الظلمة وحشة لعلها كانت تأتيه من عقله الناشئ ومن حسه المضطرب .. والغريب أنه كان يجد للظلمة صوتاً يبلغ أذنيه ، صوتاً متصلاً يشبه صوت البعوض لولا أنه غليظ ممثلي وكان هذا الصوت يبلغ أذنيه فيؤذيهما ، ويبلغ قلبه فيملؤه روعاً ، وإذا هو مضطرب إلى أن يغير جلسته فيجلس القرفصاء ويعتمد برفقيه على ركبتيه ويخفي رأسه بيديه ويسلم نفسه لهذا الصوت الذي يأخذه من كل مكان.

**ويقول :**

وسعى إلى مكان الامتحان في زاوية العميان خائفاً أشد الخوف مضطرباً أشد الاضطراب ، ولكنه لم يكد يدنو من المتحنيين حتى ذهب عنه الوجع فجأة ، وامتلاً قلبه حسرة وألماً ، وثارت في نفسه خواطر لاذعة لم ينسها قط ، فقط انتظر أن يفرغ المتحنيان من الطالب الذي كان أمامهما ، وإذا هو يسمع أحد المتحنيين يدعوه بهذه الجملة التي وقعت في أذنه ومن قلبه أسوأ وقع : ( أقبل يا أعمى ) ولولا أن أخاه أخذ بذراعه في غير رفق وقاده إلى المتحنيين في غير كلام لما صدق أن هذه دعوة قد سيقبت إليه ، فقد كان تعود من أهله كثيراً من الرفق به

وتجنباً لذكر هذه الآفة بمحضرة ، وكان يقدر ذلك وإن كان لم ينس قط آفته ولم يُشغل قط عن ذكرها " .

ويقول أحمد أمين في سيرته الذاتية (حياتي):

في حجرة في هذا البيت ولدت. وكانت ولادتي في الساعة الخامسة صباحاً من أول أكتوبر سنة 1886، وكان هذا التاريخ كان إرهاباً باني سأكون مدرساً فأول أكتوبر عادة بدء افتتاح الدراسة. وشاء الله أن أكون كذلك. فكنت مدرساً في مدرسة ابتدائية ، ثم في مدرسة ثانوية ثم في عالية ، وكنت مدرساً لبنين وبنات ، ومشايخ وأفندية ، وكنت رابع ولدٍ ولد. ولم يكن أبي يحب كثرة الأولاد شعوراً منه بالمسؤولية ، ولما لقي من الحزن العميق في وفاة أختي أبشع وفاة.

فقد كان لي أخت في الثانية عشرة من عمرها شاء أبي إلا تستمر في البيت من غير عمل فأرسلها إلى معلمة تتعلم عندها الخياطة والتفصيل والتطريز. وقامت يوماً بإعداد القهوة لضيوف المعلمة فهبت النار فيها واشتعل شعرها وجسمها وحاولت أن تطفىء نفسها أول الأمر فلم تنجح فصرخت ، ولكن لم يدركوها إلا وهي شعلة نار ، ثم فارقت الحياة بعد ساعات. وكان ذلك وأنا حمل في بطن أمي . فتغذيت دماً حزيناً ورضعت بعد ولادتي لبناً حزيناً، واستقبلت عند

ولادتي استقبلاً حزيناً. فهل كان لذلك أثر فيما غلب علي من حزن ،  
فلا أفرح كما يفرح الناس ، ولا أبتهج بالحياة كما يبتهجون ؟ ، علم ذلك  
عند الله والراسخين في العلم .

وكان من محاسن أسرتنا استقلالنا في المعيشة وفي البيت ، فلا  
حماة ولا أقارب إلا أن يزوروا لماما ، وكان بيتنا محكوماً بالسلطة  
الأبوية : فالأب وحده مالك زمام أموره ، لا تخرج الأم إلا بإذنه ، ولا  
يغيب الأولاد عن البيت بعد الغروب خوفاً من ضربه ، ومالية الأسرة  
كلها في يده يصرف منها كل يوم ما يشاء كما يشاء ، وهو الذي يتحكم  
حتى فيما نأكل وما لا نأكل ، يشعر شعوراً قوياً بواجبه نحو تعليم  
أولاده ، فهو يعلمهم بنفسه ويشرف على تعليمهم في مدارسهم ، سواء  
في ذلك أبنائه وبناته ، ويتعب في ذلك نفسه تعباً لا حد له ، حتى لقد  
يكون مريضاً فلا يأبه بمرضه ، ويتكئ على نفسه ليلقي علينا درسه.  
أما إيناسنا وإدخال السرور والبهجة علينا وحديثه اللطيف معنا فلا  
يلتفت إليه، ولا يرى أنه واجب عليه ، يرحمنا ولكنه يخفي رحمته  
ويظهر قسوته ، وتتجلى هذه الرحمة في المرض يصيب أحدنا ، وفي  
الغيبة إذا عرضت لأحد منا ، يعيش في شبه عزلة في دوره العالي ، يأكل

وحده ويتعبد وحده ، وقلما يلقانا إلا ليقرئنا . أما أحاديثنا وفكاهتنا ولعبنا فمع أمنا .

وقد كان لنا جدة - هي أم أمنا - طيبة القلب شديدة التدين ، يضيء وجهها نوراً ، تزورنا من حين لآخر، وتبيت عندنا فنفرح بلقائها وحسن حديثها ، وكانت تعرف من القصص الشعبية - الريفية منها والحضرية - الشيء الكثير الذي لا يفرغ ، فنتحلق حولها ونسمع حكاياتها ولا نزال كذلك حتى يغلبنا النوم، وهي قصص مفرحة أحيانا مرعبة أحيانا ، منها ما يدور حول سلطة القدر وغلبة الحظ ، ومنها ما يدور حول مكر النساء ودهائنهن ، ومنها حول العفاريت وشيطنتها ، والملوك والعظماء ونلهم أمام القدر "الخ" ، وتتخلل هذه القصص الأمثال الشعبية اللطيفة والجميل التي يتركز عليها مغزى القصة .

ولكن كان بيتنا-على الجملة- جداً لا هزل فيه ، متحفظاً ليس

فيه ضحك كثير ولا مرح كثير ، وذلك من جد أبي وعزلته وشدته .

**ويقول العقاد في كتاب ( أنا ) :**

"ولدت في أسوان يوم ٢٨ من يونيو ١٩٨٩ م ولي إخوة أشقاء فقد كان والدي متزوجاً قبل والدي ، ثم ماتت زوجته وبعدها تزوج أمي.. وكبير أشقائي أحمد، وكان يعمل سكرتيراً لمحكمة أسوان ، وهو

الآن على المعاش ، وعبد اللطيف وهو تاجر ، ولي شقشقة واحدة نحبها جميعا ، وهي متزوجة تعيش في القاهرة إلى جوارى ، أما إخوتي غير الأشقاء فهم جميعا أكبر مني سنا ، وبعضهم يعيش في القاهرة ، والبعض الآخر في أسوان .

بدأت حياتي الأدبية وأنا في التاسعة من عمري ، وكانت أول

قصيدة نظمتها في حياتي هي قصيدة ( مدح العلوم ) وقلت فيها :

علم الحساب له مزايا جمة      وبه يزيد المرء في العرفان  
والنحو قنطرة العلوم جميعها      ومبين غامضها وخير لسان  
وكذلك الجغرافيا هادية النقى      لمسالك البلدان والوديان  
وإذا عرفت لسان قوم يافى      نلت الأمان به وأي بيان

وتدرجت في المدارس ، ثم جئت إلى القاهرة للكشف الطبي عندما

التحقت بإحدى الوظائف الحكومية عام ١٩٠٤ م وكان عمري إذ ذاك

١٥ سنة ، وكانت وظيفتي في مديرية قنا ، ولم تكن اللوائح تسمح

بتثيبي ، لأنني لم أكن قد بلغت سن الرشد ، ثم نقلت إلى الزقازيق ، ثم

كنت أول من كتب في الصحف يشكو الظلم الواقع على الموظفين ، ثم

سئمت وظائف الحكومة ، وجئت إلى القاهرة وعملت بالصحافة ،

وأخيرا عينت عضوا بمجلس الفنون والآداب .. كما عينت بالجمع اللغوي .

وفي فصل تال بعنوان ( أبي ) يقول العقاد :

هل يعرف أحد من أين لي باسم العقاد ؟ ...أما اسم العقاد فأذكر أن جدي لأبي كان من أبناء دمياط ، وكان يشتغل بصناعة الحرير ، ثم اقتضت مطالب العمل أن ينتقل إلى المحلة الكبرى حتى يتخذها مركزا لنشاطه ، ومن هنا أطلق عليه اسم العقاد أي الذي ( يعقد ) الحرير .. والتصقت بنا وأصبحت علما علينا .

وقد تعجب ان جدنا الأكبر من دمياط ، مع أن الجميع يعرفون أنني من أسوان .

واني أتمثل أبي الآن في الصورة التي رايتها ألفي مرة بل أكثر من ألفي مرة ، لأنني كنت أراها كل يوم منذ فتحت عيني على الدنيا إلى أن فارقت بلدتي بعد اشتغالي بالوظائف الحكومية .

وتلك هي صورته على مصلاه يؤدي صلاة الصبح ، ويجلس على سجادة الصلاة مع مطلع الفجر إلى ما قبل الإفطار ليتلو سورا خاصة من القرآن الكريم ، ويعقبها بتلاوة الدعوات .

وكان يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها ، ولكن جلسته في الصباح الباكر هي التي انطبعت في ذاكرتي إلى هذه الساعة ، لأنها كانت أول ما أستقبله من الدنيا كل صباح .

ومن أجل الصلاة حدث بيني وبينه خلاف يوصف بالعصيان .. فإنه - رحمه الله - كان يدين بالجد في الواجب أو الشدة في الجدن وكان يرى للطفل ما يراه الشيخ إذا كان الأمر أمر فريضة أو عمل محمود أو عرف مأثور.

من ذلك أنه كان يراني فيما دون الثامنة من عمري أجلس في المنزل بين قريباتي وخالاتي وجارات المنزل فيصيح بي مستغضبا :

- عباس ! ماذا تصنع هنا عند النساء ؟ تعال معي فاجلس بين أمثالك .. ومن هم أمثالي ؟ .. شيوخ فيما بين الأربعين والسبعين ، كانوا يسمرون معه في ( المندرة ) ويقضون الوقت في أحاديث الشيوخ عن السياسة تارة وعن قضايا الأسر الكبيرة تارة أخرى ، وقلما يمزحون أو يتفكهون إلا ثابوا إلى وقارهم كالمعتذرين .. وقد أفادتني هذه الجلسات كل فائدة تأتي من التوقر قبل سن الوقار ، وقلما يخلو من بعض الأضرار ."

في هذه المقتطفات من السير الذاتية نلمس التناسق في طريقة تناول ماثلة عندهم جميعا، حيث حرص كل كاتب على الحديث عن أسرته وتناول مكوناتها، ومنزله ومكانته بين أفرادها، وما تتحلى به من تقاليد وعادات، ويعطي طرفا من الحديث عن مسيرته التعليمية، وما صادفه فيها من صعوبات وعقبات، وما صادفه فيها من نجاح أو إخفاق.

- فهذا طه حسين يتحدث عن آفة فقد البصر التي مني بها في صغره، وكيف أنها سببت له كثيرا من الحرج، والألم النفسي حين كان يتناول الطعام مع إخوته وما كان يلقي من الحرج والعناء، الأمر الذي دفعه في كبره إلى أن يأكل منفردا بعيدا عن أعين الرقباء، والأهل والأقرباء، ثم يحدثنا عن إحساسه بالوحدة والعزلة، وأن هذه الآفة سببت له كثيرا من الوحدة، كما يحدثنا عما كان يغمره من مشاعر الخوف والقلق عند دخول لجان الاختبار التي كانت تعقد للطلاب آنذاك، وكيف أن مذادة المتحن له: (أقبل يا أعمى) قد سببت له ألما أي ألم!

- وهذا أحمد أمين يحدثنا عن أسرته وما فيها من حياة جادة، لا هزل فيها ولا ضحك إلا في حدود ضيقة وما تسمح به جدتهم لهم

من خلال حكايات ترويها لهم من القصص الشعبية ، وحدثنا عن والده الجاد دائما ، والمتحكم في شؤون المنزل وحده ، يصرف اموره المالية والمعيشة ، ولا يسمح بتدخل أحد في مهامه ، ولا يجلس للحديث معهم إلا ليعلمهم فقط ، كما لا ينسى أحمد أمين يحدثنا عن أخته الكبيرة والحادث الذي وقع لها حيث شبت فيها النار عندما كانت تعد القهوة ، فسبب ذلك حزنا شديدا لأمه وأفراد أسرته ، فنشأ في جو حزين لا يعرف الفرح ولا الابتسام .

والعقاد أيضا يحدثنا عن أسرته ، وإخوته الأشقاء ، وكيف توزع أفراد عائلته بين دمياط والمحلة الكبرى وأسوان ، وسبب تسمية أسرته باسم العقاد ، كما يحدثنا عن موهبته الأدبية المبكرة وما نظم من شعر وهو في التاسعة من عمره، ويستفيض في الحديث عن صلاح والده وتقواه ، وحرصه الشديد على أداء الصلوات في أوقاتها، وما كان يتمتع به هذا الأب من جد ووقار ، وكيف أن العقاد قد اكتسب منه هذه الصفة في حياته .

وتستطيع أن تتبين التناص بين هؤلاء الكتاب جميعا من خلال طريقة تناول السيرة الذاتية ، حيث سلط كل منهم الضوء على أسرته

وأفرادها ، وعن والديه ويستفيض في إبراز سمات كل منهما ، ولو تتبعنا السيرة كاملة عنده جميعا لوجدنا مزيدا من التناص .

والتناص هنا فيهذين النموذجين نلمسه في اتفاق كلا الكاتبين في طريقة العرض ومن أنواع التناص أيضا:

#### ٩ - تناص التراث الشعبي :

ويقصد به توظيف القص الشعبي، والحكايات القديمة، والموروث الشعبي بمعنى أن يستعين الشاعر بالموروث الشعبي ، وما يضمه من حكايات ، ويضمن فكرتها ، وأجزاءها في ما يكتب من قصائد ، وقد شاع هذا اللون من التناص كثيرا بين الشعراء المعاصرين ولنا أن نتأمل المثال التالي :

يقول توفيق زياد في قصيدة ( رمضان كريم ) ( ص ٣٤٢ )

وعلى حدة يجلس بعض السمار

يتمنون وينون

قصورا .. في الريح

ويقول فتى

أه .. لو عندي مصباح علاء الدين

لفركته حتى يأتي العملاق

قدامي يرتعش المسكين

طلبي متواضع : ألف جنيه صفراء  
مهر لـ ( سعاد ) ساحرقي السمراء

ويقول خيالي آخر :

" أه لو أملك حاتم شبيك لبيك "

يأتي حين أشاء العفريت

( سعدك يا سيد بين يديك )

لقلبت الدنيا .. أوقدت جحيم

وقذفت إليه بكل لثيم

وجعلت الخبز بدون نقود

ورفعت لكل فقير قصرا

وزرعت الحرية في كل تراب

والورد على كل الأبواب

ففي هذا النموذج يستعين الشاعر بالحكاية الشعبية ( مصباح

علاء الدين ) التي يعرفها الجميع وكيف أن العملاق الذي يخرج من

المصباح يحقق للمرء ما يتمنى .

وهناك أيضا :

## ١٠ - التناص النقدي :

حتى كتب التراث النقدي نفسها لم تسلم من التناص ففي مجلة جذور في عددها رقم ثلاثين تتناول موضوعا تحت مسمى ( التناص النقدي ) عنون له كاتبه ( عبد الحميد الحسامي ) عنوانا هو ( صدى الموازنة في المثل السائر ) ، فتعال معي أيها القارئ المحترم نتجول عبر سطور هذا المقال نستعرض مافيه من تناص نقدي :

يبين كاتب المقال في بدايته أن كتاب المثل السائر يمثل قيمة نقدية كبيرة الوزن بين كتب التراث ، وذلك لما اشتمل عليه من أحكام نقدية ، فهو موسوعة كبرى تشكل نقلة فكرية في بنية التفكير النقدي نال بها صاحبها منزلة مرموقة في عالم الأدب والنقد ، وما يزال .

ويعترف ابن الأثير أنه قرأ كثيرا في كتب الأدب وموسوعاته ( فلم يترك في تحصيله سبيلا إلا انتهجه ) ثم نراه يقف في إجلال أمام كتابي : " الموازنة " للأمدي ، وكتاب " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي ، حتى ليقول عنهما " وقد ألف الناس فيه - أي البيان - كتباً وجلبوا ذهباً ، وحطبوا حطبا ، وما من تأليف إلا وقد تصفحت شيبه وسينه ، وعلمت غثه وسمينه ، فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا

كتاب الموازنة للآمدي ، وكتاب سر الفصاحة للخفاجي ، غير أن الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا "

وابن الأثير في هذا القول يعطينا انطبعا عن أثر الكتابين فيه ، وأثرهما في كتاباته وآرائه ، وهذا ما دفع كاتب المقال ( عبد الحميد الحسامي ) إلى تتبع التناسل الكائن بين الموازنة والمثل السائر من خلال ملاحظته الموضوعات التي يشترك فيها الكتابان والتناسل في الفكرة أو البناء النصي أو طريقة المعالجة للموضوع .

ويطرح صاحب المقال سؤالاً محورياً يبين إجابته فيما بعد ، يتساءل ،  
- ما ملامح تناسل المثل السائر مع الموازنة ؟ ويضح سؤاله أكثر باستفسارات فرعية ؟

- هل تجسد التناسل في المادة العلمية فقط ؟ أو أنها طالت المادة والمنهج ؟ وهل اقتصر على المواضع التي ذكرها ابن الأثير ؟ أو أنها تسللت إلى بنية الكتاب فبرزت في مواضع عديدة ذكر بعضها وأعرض عن بعض ؟

ويخلص الباحث إلى ،

بيان تناسل المثل السائر مع الموازنة في عدد من الموضوعات التي تناولها ابن الأثير ، وأبرزها ،

## ١- موضوع المعاظلة :

يردد ابن الأثير قول قدامة ابن جعفر عنها أنها " مداخلة الكلام بعضه في بعض وركوب بعضه بعضا " ويقول عن هذا التعريف أنه خطأ، بل حقيقته التراكب من قولهم : تعاضلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى ، وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا تراكب في ألفاظه ولا في معانيه " وابن الأثير لم يأت بجديد ، لأنه يردد ما قاله الأمدى صاحب الموازنة من قبل ، وعجيب الأمر أن ابن الأثير - كما يقول الباحث - يستنكف أن يعترف بالفضل للأمدى في التقدم والسبق في تناول أغلاط قدامة " .

## ٢- موضوع الجناس :

يقول ابن الأثير : " وقد أكثر أبو تمام من التجنيس في شعره فمنه ما أغرب فيه فأحسن كالذي ذكرته ومنه ما أتى به كريها مستثقالا ، وذكر من جيده قوله :

يوم أرشق والهيجاء قد رشقت من المنية رشقا وابلا قصفا

ويقول ابن الأثير : " وله من الغث البارد المتكلف شيء كثير لا

حاجة إلى استقصائه .. " وانظر إلى ما قاله الأمدى لتعلم مدى التناس :

يقول الأمدي فيما أتى به أبو تمام من جناس : " فاعتمده  
( أي الجناس ) الطائي ( أبو تمام ) وجعله غرضه ، وبنى أكثر شعره  
عليه ، فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله :

ياربع لو ربعوا على ابن هموم

وأشبهه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى -

لكان قد أتى على الغرض وتخلص من الهجنة والعيب .

فأما أن يقول :

قرت بقران عين الدين وانتشرت بالأشترين عيون الشرك فاصطلما

فإن انتشار عيون الشرك في غاية الغثاة والقباحة ، وأيضا فإن

انتشار العين ليس بموجب للاصطلام .... فهذا كله تجنيس في غاية

البشاعة والركاكة والهجانة "

ثم يحدد الباحث موضع التناص :

فقول ابن الأثير ( وله من الغث البارد المتكلف شيء كثير لا

حاجة إلى استقصائه ) يقابله قول الأمدي ( فهذا كله تجنيس في غاية

الشناعة والركاكة والهجانة ) .

ويذكر الباحث من الأبواب التي تناص فيها ابن الأثير مع

الأمدي :

### ٣- موضوع السرقات :

- يقول ابن الأثير " والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له .. لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى اتباع الآخر الأول .. وإنما يطلق اسم السرقة في معنى الخصوص كقول أبي تمام :

لا تنكروا ضربي له من دونه      مثلا شرودا في الندى والباس  
فالله قد ضرب الأقل لنوره      مثلا من المشكاة والنيراس  
فهذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وفي الموازنة يقول الأمدى :  
" إن السرقة إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ' لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية على عاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال : إنه أخذ من غيره "

- ويخلص الباحث إلى التناص بين الشيخين الجليلين قائلا :

" النصان يكادان يتطابقان من حيث النظرة إلى حدود السرقة فهي لدى الأمدى في المعاني المخترعة ، وهي كذلك عند ابن الأثير الذي تميز بتشقيق معاني السرقة ومصطلحاتها ، بل إن ابن الأثير يأخذ نص

الأمدي بحذافيره حين يقول : ( إن السرقة إنما هو في البديع المخترع  
الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي  
جارية على عاداتهم المستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم " وهذا النص قد  
أورده ابن الأثير في " الاستدراك " وليس في المثل السائر .

صدي ( الموازنة ) واضح في ( المثل السائر ) ولموس في  
المعاذلة ، والتجنيس والمطابقة ، والسرقات ، وآلة البيان .  
ولموس - أيضا - في طريقة المعالجة وتناول الأمثلة .

## خاتمة

ويعد .. فهذا هو التناص - كما بينا - تعريفه ، وأنواعه ،  
ونماذجه ، وأن أجدادنا العرب وشيوخ النقد القدماء ، قد عالجوا  
مفهومه وأنواعه تحت مسمى السرقات الأدبية .

ونعود نكرر ما سبق أن ذكرناه في مقدمة الكتاب وبيننا فيه  
فضل العرب وسبقهم في الحديث عن أخذ الشعراء من غيرهم ، وتأثرهم  
بالنصوص الأخرى ، وفصلوا القول في طرائق الأخذ والتأثر ، وما أطلقوا  
عليه من ألقاب السلخ والمسح ، والإغارة ، والغصب ، وما شابه ذلك من  
مسميات أدرجها المعاصرون تحت مصطلح ( التناص ) ، وما أكثر ما  
غيروا في إطار الحداثة والافتتان بالغرب ومسمياته ، ونظرياته ، وفي  
تراثنا حقيقة كل شيء ، وعند أجدادنا وشيوخنا العرب اليقين ، وفي  
ثنايا ما أبدعوه أصول لكل ما يهب علينا من رياح الغرب ومصطلحاته  
ونظرياته ، فهل من عودة إلى كنوز هذا التراث؟ وهل من وقفة تأمل  
مستوعبة لكل ما تركه أجدادنا الفحول العظماء ؟ أسأل ، وأتمنى !!